Biannual Research Journal
AL-IDAH
Published by
SHAYKH ZAYED ISLAMIC CENTRE
UNIVERSITY OF PESHAWAR
PESHAWAR PAKISTAN
ISSN (Print) : 2075-0307
ISSN (Online) : 2664-3375
OPEN ACCESS
الإيضاح
مركز الشيخ زايد الإسلامي جامعة پشاور
www.al-idah.pk
VOL. 44 Issue. 1
Jan-Jun 2026

دعوة التوحيد إلى النظر والتفكر والتعقل

(دراسة تحليلية في العلاقة بين العقيدة والعقل والعلم)

Daʿwat al-Tawḥīd and Its Call to Reflection, Contemplation, and Rational Inquiry: An Analytical Study of the Relationship between ʿAqīdah, Reason, and Science

Issue: *https://www.al-idah.pk/index.php/al-idah/issue/view/44*
URL: *https://www.al-idah.pk/index.php/al-idah/article/view/1013*
Article DOI: *https://doi.org/10.37556/al-idah.044.01.1013*

Author (s):
Ridha Ben Ali Jaouadi
University of Ez-Zitouna - the Higher Institute of Theology - Tunisia Email: jaouadi.ridha@gmail.com

How to Cite **:** *Ridha Ben Ali Jaouadi 2026. Daʿwat al-Tawḥīd and Its Call to Reflection, Contemplation, and Rational Inquiry: An Analytical Study of the Relationship between ʿAqīdah, Reason, and Science. Al-Idah . 44, -1 (Jun. 2026), 118 - 156.*

Publisher **:** *Shaykh Zayed Islamic Centre, University of Peshawar, Al-Idah . 44, -1 (Jun. 2026), 118 - 156.*

Article History:

Received on:	***12 – April - 2026***
Accepted on:	***23 – May- 2026***
Published on:	***30 – June - 2026***

This work is licensed under a Creative Common Attribution 4.0 International License
Author(s) declared no conflict of interest

Abstract & Indexing
Islamic Research Index
Australian Islamic Library
Crossref
DOAJ Directory of Open Access Journals
International Scientific Indexing
Index Copernicus International

Abstract

This study aims to analyze the intrinsic relationship between ʿAqīdah al-Tawḥīd and the methodology of rational and scientific inquiry in Islam, drawing upon selected Qur'anic texts that encourage reflection, contemplation, and intellectual engagement. It further explores the role of Tawḥīd in liberating the human intellect from superstition and uncritical adherence to inherited assumptions.

The study argues that Tawḥīd is not merely a theoretical doctrine of faith but a fundamental catalyst for intellectual awareness and a driving force for investigating the universe and its governing laws. The unity of the Creator is reflected in the coherence and order of the cosmos, rendering Tawḥīd a foundational principle for systematic and objective scientific inquiry. Moreover, the Islamic conception of knowledge (ʿilm) transcends the presumed dichotomy between religious and worldly sciences, as all forms of knowledge ultimately originate from the One All-Knowing Creator.

The findings demonstrate that Tawḥīd offers three major epistemological dimensions: first, the liberation of the intellect from irrational traditions and unfounded beliefs; second, the establishment of certainty through the Qur'anic invitation to reflect upon the cosmic signs (āyāt kawniyyah); and third, the integration of sources of knowledge, whereby ʿilm encompasses revealed, rational, and empirical sciences. This integrative vision is rooted in the symbolic significance of the first Qur'anic command, "Iqraʾ" ("Read"), which contributed to the emergence of a distinctive Islamic civilization grounded in knowledge and intellectual inquiry.

Keywords: *Daʿwat al-Tawḥīd; ʿAqīdah; Reason and Revelation; Islamic Epistemology; Scientific Inquiry in Islam; Qur'anic Reflection; ʿIlm (Knowledge); Intellectual Liberation; Āyāt Kawniyyah; Islam and Science.*

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ملخّص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحليل العلاقة الجذرية بين عقيدة التوحيد ومنهجية التفكير العقلي والعلمي في الإسلام، استنادا إلى عدد من النصوص القرآنية الداعية إلى التفكير، واستقراء لأثر التوحيد في تحرير العقل البشري من الخرافة والجمود.

ويخلص البحث إلى أن التوحيد في جوهره ليس مجرد عقيدة إيمانية نظرية، بل هو محرك أساس للوعي العقلي، ومحفّز للنظر في الوجود وسننه، وأن وحدانية الخالق تنعكس في وحدة قوانين الكون، مما يجعل التوحيد هو المنطلق الأساس للبحث العلمي المنظم والموضوعي. كما أن مفهوم العلم في الإسلام

مفهوم شامل يتجاوز الثنائية المزعومة بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، لأنها جميعاً تنتهي إلى مصدر واحد هو الخالق العليم سبحانه وتعالى.

وتظهر النتائج أن التوحيد يقدم ثلاثة محاور أساسية: أولاً، تحرير العقل من التسليم بالموروثات غير العقلية (تحرير فكري). ثانياً، تأسيس اليقين عبر دعوة العقل إلى النظر في الآيات الكونية (إرساء منهجي). ثالثاً، توحيد مصادر المعرفة، حيث تتسع دلالة العلم لتشمل العلوم الشرعية والعقلية والكونية التجريبية، انطلاقاً من رمزية الأمر بـ "اقرأ" في أول الوحي، وما حققته من قومة حضارية متميزة.

الكلمات المفتاحية:

- التوحيد – النظر – التفكر – التعقل – القراءة – العلم – السنن الكونية

مقدمة:

توحيد الله عز وجل هو حجر الأساس في البنية العقائدية والتشريعية والفكرية للإسلام، حيث لا يقتصر دوره على تحديد علاقة الإنسان بربه، بل يمتد إلى صياغة رؤية متكاملة للكون والحياة والمعرفة، تحثه على النظر والتفكر والتعقل، وتجعله قادراً على فهم نواميس الكون، والبناء الحضاري في شتى المجالات.

وعلى عكس من ينظر إلى العقائد بوصفها قضايا لاهوتية بحتة، يبرز التوحيد في الإسلام قوة دافعة إلى البحث العلمي والتحرر العقلي، ويقدّم نموذجاً فريداً يربط بين الإيمان والبحث العلمي، وبين العقيدة والفكر، وبين الوحي والكون، وبين الغيب والشهادة، بصورة تجعل المعرفة الإنسانية فعلاً تعبدياً ونشاطاً يعمق الإيمان.

وتجتهد هذه الدراسة في توضيح كيفية تحويل هذا المفهوم الإيماني إلى منطلق منهجي يحرر العقل البشري، ويدفعه إلى تعقل الوجود واكتشاف سننه، من خلال ما يقدمه من آليات معرفية لإرساء أساس راسخ لليقين العلمي، بعيداً عن التقليد والخرافة.

تسعى هذه المقالة إلى تحقيق هدفين رئيسين: الأول، تحليل مفهوم التوحيد في الإسلام من زاوية علاقته بتحرير العقل البشري من التقليد والأوهام والظنون. والثاني، استقراء الآيات القرآنية التي تؤكد على دور النظر العقلي والتدبر في بناء عقيدة التوحيد وترسيخها، مع إبراز شمولية مفهوم العلم في الرؤية التوحيدية.

وتعتمد المقالة على المنهج التحليلي الاستنباطي؛ حيث تقوم بتحليل النصوص المؤسّسة في الوحي التي تتضمن دعوات صريحة إلى استخدام أدوات المعرفة العقلية (مثل: يعقلون، يتفكرون، يتدبَّرون) وربطها مباشرة بإثبات وحدانية الخالق وتفرده. وسيتم تقسيم التحليل إلى ثلاثة محاور رئيسة، تبدأ بتعريف التوحيد كمفهوم تحريري وتنتهي برمزية القراءة واتساع مفهوم العلم في الإسلام.

أ- إشكالية البحث:

كيف يسهم توحيد الله تعالى في تحرير العقل الإنساني، وفي بناء رؤية علمية شاملة ترسخ الإيمان وتعلي من قيمة النظر والتفكر في الكون؟

ومن هذه الإشكالية، تتفرع تساؤلات عدّة:

١. ما مفهوم التوحيد في الإسلام؟
٢. ما مفهوم النظر والتفكر والتعقل؟
٣. كيف يحرر التوحيد العقل من الخرافة والتقليد؟
٤. ما موقع النظر العقلي في ترسيخ عقيدة التوحيد؟
٥. ما دلالات الأمر بالقراءة في أول الوحي؟
٦. كيف يتسع مفهوم العلم في الإسلام ليشمل مختلف حقول المعرفة؟

ب–أهداف البحث:

- **الهدف الرئيس للبحث:**

تحليل العلاقة بين توحيد الله من جهة، والعقل والنظر العلمي في الكون من جهة أخرى.

- **الأهداف العامة:**

- إثبات علاقة الترابط بين التوحيد والعقل والنظر العلمي في الكون.
- بيان أثر التوحيد في تحرير العقل البشري من الخرافة والجمود.
- توضيح كيف أن التوحيد في جوهره محرك أساس للوعي العقلي، ومحفّز للنظر في الوجود وسننه.
- بيان أثر كلمة "اقرأ" في تأسيس المعرفة العلمية.
- تبيان أن مفهوم العلم في الإسلام مفهوم شامل يتجاوز الثنائية المزعومة بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، وينتهي إلى مصدر واحد هو الخالق العليم الحكيم سبحانه وتعالى.

أ– أهمية البحث:

التوحيد عنوان العقيدة الإسلامية، وهو الأساس الذي تبنى عليه الرؤية الكونية والإنسانية في الإسلام. وهو ليس مجرد عقيدة إيمانية جامدة، بل هو مشروع معرفي وفكري متكامل يعيد تشكيل وعي الإنسان بعيدا عن الخرافة والتقليد، ويوجه نظره نحو الكون، ويستنهض طاقاته العقلية.

وقد برزت الحاجة إلى دراسة العلاقة بين التوحيد والنظر العقلي في وقت أصبحت فيه الثنائية بين "الدين والعلم" إحدى أكبر الإشكالات الفكرية الحديثة. والإسلام يقدّم نموذجاً

فريداً يحول الإيمان إلى محرك للبحث العلمي، ويجعل النظر العقلي جزءاً من الممارسة الدينية اليومية.

ومن هنا تأتي أهمية تناول الموضوع من زوايا معرفية متعددة من أجل إبراز خصوصية الرؤية الإسلامية في ارتباط الإيمان بالعقل والعلم بمفهومه الواسع، ومن أجل إعادة تفعيل هذا المنهج القرآني في التفكير والمعرفة مدخلاً أساسيا لتجديد العقل المسلم، وبناء نهضة حضارية معاصرة تستعيد دور العلم في بناء الإنسان والمجتمع.

ب–الأبحاث السابقة ذات الصلة:

أهم كتابين معاصرين استفدت منهما في بحثي، هما:

- كتاب "التفكير فريضة إسلامية"، لمؤلفه عباس محمود العقاد، حيث تمحور الكتاب حول فكرة أن التفكير يوجب الإسلام وأن الإسلام يوجب التفكير. كما بين بوضوح كيف أن القرآن، معجزة الإسلام، خاطب العقول كما خاطب الوجدان، وخاطب العقل الإنساني كاملا بكل ما احتواه من وظائف، فهو خاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد.
- وكتاب "توحيد الخالق"، لعبد المجيد بن عزيز الزنداني. وهو كتاب تطبيقي لدعوة التوحيد إلى النظر والتفكر والتعقل، حيث راعى الكاتب فيه أن يكون متمشياً مع أحوال الزمن المعاصر، وتناوله بالاستناد إلى حقائق علمية تم اكتشافها حديثا في ميدان العلوم الكونية. وفيه من ضرب الأمثلة، واستخدام وسائل الإيضاح المختلفة، مع بساطة في التعبير، ووضوح الفكرة، وسهولة البرهان، ما يثبت العقيدة في قلوب الناس.

لكني لم ألتزم بمنهجية الكتابين لأني توسعت في اتجاهات متعددة نحو تحرير التوحيد للعقل، واكتشاف السنن الكونية، واتساع مفهوم العلم.

ج– منهجية البحث:

يعتمد البحث منهجاً تحليليًّا استقرائيًّا استنباطيًّا يقوم على:

- دراسة المفاهيم الأسس (التوحيد، النظر، التفكر، التعقل...).
- تحليل الآيات القرآنية الداعية إلى النظر العقلي.
- استقراء العلاقة بين التوحيد والعلم كما تبرزها نصوص الوحي.
- مقارنة منهج القرآن في المعرفة بالحركات الفكرية القائمة على التقليد أو الخرافة.

د– حدود البحث:

- **الحدود الموضوعية:** يركّز البحث على العلاقة بين التوحيد والنظر العقلي، دون التطرق إلى القضايا العقائدية التفصيلية إلا عند الاقتضاء.

- **الحدود الزمنية**: دراسة النصوص القرآنية والنبوية وما تلاها من تشكل معرفي من القرون الأولى إلى الواقع الحديث.
- **الحدود المنهجية**: اعتماد المنهج التحليلي، الاستقرائي، المقارن فقط دون الخوض في الجدل الكلامي التفصيلي التقليدي.

هـ- خطة البحث

دعوة التوحيد إلى النّظر والتّفكّر والتّعقّل

ملخّص البحث

الكلمات المفتاحية

مقدمة

أ- إشكالية البحث

ب-أهداف البحث

ج- أهمية البحث

د- الأبحاث السابقة ذات الصلة

هـ- منهجية البحث

و- حدود البحث

ز- الهيكل العام للبحث

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي

المبحث الأول: مفهوم التوحيد

المبحث الثاني: الأبعاد الشاملة للتوحيد

المبحث الثالث: مفهوم النّظر والتّفكّر والتّعقّل

الفصل الثاني: تحرير التوحيد للعقل من الخرافة والأوهام

المبحث الأول: التحرير من الشرك والظن والهوى

المبحث الثاني: نقد الخرافة والأسطورة

المبحث الثالث: رفض الكهانة والعرافة والسّحر والشعوذة

المبحث الرابع: منع التطير واليأس وَالاستسلام

المبحث الخامس: رفض التقليد

الفصل الثالث: علاقة التوحيد بالنظر العقلي واكتشاف السنن الكونية

المبحث الأول: الألفاظ القرآنية الداعية إلى النظر وتعقل الوجود

المبحث الثاني: أهمية النظر العقلي في بناء عقيدة التوحيد وترسيخها

المبحث الثالث: دعوة التوحيد إلى تعقل الوجود واكتشاف السنن الكونية

١. جدول الألفاظ القرآنية الدالة على سنن الكون وقوانينه

٢. جدول ما ينفيه الوحي مما يناقض السُّنن والقوانين الكونية

الفصل الرابع: رمزية الأمر بالقراءة واتساع مفهوم العلم في الإسلام

المبحث الأول: رمزية الأمر بالقراءة في أول الوحي وبناء الوعي المعرفي

المبحث الثاني: اتساع مفهوم العلم في الإسلام ومجالاته

الخاتمة (أهم النتائج وأبرز التوصيات)

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي

يهدف هذا الفصل إلى ضبط المفاهيم الأسس التي يقوم عليها البحث، ويتناول أربعة مفاهيم محورية: التوحيد والنظر والتفكر والتعقل. وهي المفاهيم التي تشكل البنية النظرية الكبرى لهذا البحث. أما مفهوما العلم والسنن الكونية فسيتم ضبطهما في الموضعين المخصصين لهما في التحليل.

المبحث الأول: مفهوم التوحيد:

التوحيد في اللغة من الجذر (و – ح – د)، ويعني جعل الشيء واحداً غير متعدد. ويقال: "وحد الشيء" أي جعله واحداً، و"توحد" أي انفرد وتميز.

قال عبد الرزاق عفيفي: "التوحيد لغة: جعل المتعدّد واحدا، ويطلق على اعتقاد أن الشيء واحد متفرد، ويطلق شرعا على تفرد الله بالربوبية والإلهية، وكمال الأسماء والصفات."[١]

فتوحيد الله تعالى هو إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، والاعتقاد بأن الله وحده هو الخالق المدبر المستحق للعبادة.

فهو باعتبار الجانبين النظري والعملي، قسمان:

١. العلم والاعتراف بتفرد الخالق بصفات الكمال والجلال والعظمة،

٢. وإفراده وحده بالعبادة.

وهو باعتبار أنواعه ثلاثة أقسام:

- **توحيد الربوبية**: وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه، كالخلق والرزق وتدبير الأمور والإحياء والإماتة ونحو ذلك. قال الله تعالى:"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الفاتحة:٢)

- **توحيد الأُلوهية** : وهو توحيد الله بأفعال العباد التي أمرهم بها. فتصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والاستعاذة وغير ذلك. ويسمى توحيد العبادة. قال الله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (الفاتحة:٥)
- **توحيد الأسماء والصفات**: معناه الاعتقاد الجازمَ بأن اللهَ عز وجل، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكائنات. قال تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(الشورى:١١)

وكلمة التوحيد هي: " لا إله إلا الله " التي تلغيَ كل صور الشركَ، وتثبتَ الألوهية لله الواحد الأحد.

المبحث الثاني: الأبعاد الشاملة للتوحيد:

يتأسس التوحيد على الإقرار بربوبية الله، وألوهيته، وكمال أسمائه وصفاته، بما يتضمنه ذلك من وحدانية الخالق، وتفرده بالكمال والجلال، واستحقاقه وحده للعبادة.

والتوحيد أساس كل معرفة صحيحة؛ إذ يحدّد المرجعية العليا للوجود، ويعيد تشكيل علاقة الإنسان بالكون على أساس من الانسجام والغائية.

فهو ليس مجرد "نظرية عقيدية"، بل هو بنية شاملة تتضمن:

- رؤية كونية: أن للكون خالقاً واحداً منظّماً تنظيما دقيقاً.
- رؤية إنسانية: أن الإنسان مكرم ومكلّفَ (مستخلف) ومخاطَب بالعقل.
- رؤية اجتماعية: أن الرابطة الإيمانية هي أقدس رابطة تجمع المؤمنين وتتطلب توازنا بين الحقوق والواجبات والحرية والمسؤولية.
- رؤية أخلاقية: أن التوحيد ينتج سلوكاً مبنياً على المسؤولية.
- رؤية سياسية: أن الحكم لله، والإيمان بعلم الله وحكمته وعدله يتطلب ثقة في شرعه.
- رؤية اقتصادية: أن المال مال الله والإنسان مستخلف فيه بما يراعي حق الله وحق الذات وحق الغير.
- رؤية حضارية: أن التوحيد أساس التحرر من الاستعباد والاستكبار والطغيان والخرافة.

إن مقابل التوحيد هو الشرك، وهو قرين الجمود العقلي، فهو ينسب الخلق لغير الخالق، ويرسخ الخرافات، ويمنع العقل من البحث في الأسباب الطبيعية.

أما التوحيد فيؤسس لوعي سببي منضبط انطلاقا من عدة نصوص من الوحي منها قول الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الفتح: ٢٣].

فالإقرار بوحدانية الله تعالى، وما تعنيه من وحدانية المصدر ووحدة النظام، هو الذي يلغي التفسيرات التعددية والمتضاربة للكون، مما يفتح الباب أمام البحث المنظم للكشف عن القوانين الثابتة التي تحكمه.

المبحث الثالث: مفهوم النّظر والتّفكّر والتّعقّل:

بين ألفاظ النظر والتفكّر والتعقّل، والألفاظ القريبة مثل التأمل والتدبر والتبصر والتذكّر، تداخل وتقارب في المعنى لغة واصطلاحا. لذلك لن أتعمق كثيرا في تبيان الفوارق الدقيقة بينها، لأني في هذا البحث مهتم بالمشترك بينها كتعقّل للوجود له ارتباط متين بتوحيد الله عز وجل.

وفيما يلي بعض التحديدات اللغوية والاصطلاحية لجملة هذه الألفاظ.

قال ابن فارس في مادة "نظر": «النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمُّل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويُتَّسع فيه»[٢].

وجاء في لسان العرب: «نَظَرت إلى كَذَا وكَذَا من نَظَر الْعَيْن ونَظَر الْقَلْب....، الْجَوهريُّ: النَّظَر تأَمُّل الشَّيْء بالْعَيْن... وإذا قُلْت نَظَرْت في الأَمر احْتَمَلَ أَن يَكُونَ تَفَكُّراً فيه وتَدَبُّراً بالْقَلْب"[٣]

وفي القاموس المحيط: «والنَّظَر، محرَّكة: الفكْر في الشيء تُقَدِّره وتقيسه»[٤]

وفي كتاب "الفروق اللغوية" توضيح لعلاقة النظر بالبصر والقلب والفكر: «وحدّ النّظر طلب إدْراك الشَّيء من جهة الْبَصر أَو الْفكر، ويحْتَاج في إدْراك الْمَعْنى إِلَى الْأَمرين جَمِيعًا... وأصل النّظر الْمُقَابلَة، فالنظر بالبَصر الإقبال به نَحْوَ المبصر، والنَّظَر بالقلب الإقبال بالفكر نَحْوَ المفكر فيه»[٥]

وفي الفرق بين النظر والتأمل قال: «هو ما ذكرناه، والتأمل هو النّظر المؤمَّل به معرفة ما يطْلب، ولَا يكون إلّا في طول مدَّة؛ فكل تأمل نظر، وليس كل نظر تأملا»[٦]

وفي الفرق بين النظر والفكر قال: «الْفرق بين النظر والفكر: أَن النّظر يكون فكرا أَو يكون بديهة، والفكر ما عدا البديهة»[٧]

أما في الفرق بين التفكّر والتدبر فقال: «الْفرق بين التفكر والتدبر: أَن التدبر تصرف الْقلب بالنّظر في العواقب، والتفكر تصرف الْقلب بالنّظر في الدَّلَائل»[٨]

وحول ترابط الألفاظ وتداخل معانيها قال: «والنَّظَر أَيْضا هُوَ الْفكر والتأمل لأحوال الْأَشْيَاء، أَلا ترى أَن النَّاظر على هذَا الْوَجه لَا بد أَن يكون مفكرا، والمفكر على هذَا الْوَجه يسمى نَاظرا»[٩]

أما العقل لغة فهو من العقْل، أي الربط والمنع. ومنه: "عقل الدابة" أي ربطها. فالعقل هو ما يربط بين الأفكار ويمنع صاحبه من الخطأ.

واصطلاحا، فهو: القدرة الإنسانية على التفكير والفهم والاستنباط والتمييز بين الحق والباطل، وعلى إدراك العلاقات والعلل والنتائج. قال الكفوي: «هو قوَّة للنَّفس بها تستعد للعلوم والإدراكات»[١٠]

وفي القرآن الكريم دعوات عديدة إلى التعقّل منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، التي وردت في القرآن ١٣ مرة.

ويفرق بين النظر والتفكر والتعقل على النحو التالي:

١. النظر: باعتباره البداية (المشاهدة والاستدلال).

٢. التفكر: باعتباره العملية (إعمال الذهن في الدليل).

٣. التعقل: باعتباره النتيجة (الربط بين المقدمات والوصول إلى حقيقة التوحيد).

لقد قدّم القرآن العقل باعتباره أداة لفهم الوحي، وأداة لفهم الكون، وأداة لتحرير الإنسان من التقليد. ومن وظائفه في الرؤية الإسلامية: التمييز والتحليل، واستنباط العلل والسنن، وربط الظواهر ببعضها، ونقد الخرافات، وتحقيق مقاصد الشريعة، وإعمال النظر في الكون...

والعقل في الإسلام يعمل في مجالين: النص بفهم أحكامه ومقاصده، والكون باكتشاف قوانينه وعلله. وهذا ما يمنح الفكر الإسلامي توازنه بين الإيمان والعلم، وبين الوحي والواقع.

الفصل الثاني: تحرير التوحيد للعقل من الخرافة والأوهام:

مع الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، استأنفت عقيدة توحيد الله عز وجل دورها في تطوير الوعي الإنساني، لأنها أعادت بناء رؤية الإنسان للكون وللحياة وللنفس الإنسانية. فالتوحيد ليس مجرد عقيدة تعبدية، بل هو محرك معرفي عميق يحرر العقل من الجمود، ويصب في بناء منهج تفكير يقوم على البرهان واليقين.

وفي هذا الفصل، نكشف كيف أن التوحيد، في جوهره، منهج تحريري للعقل البشري، يقوم بعملية تطهير معرفي بتفكيك البنى الذهنية القديمة المبنية على الخرافة والأسطورة، وكيف يتجاوز نطاق العبادة الطقسية ليصبح أساساً لمنظومة فكرية كاملة، ويضع الإنسان أمام مسؤولية التفكير والنظر.

المبحث الأول: التحرير من الشرك والظن والهوى

شكّل الشرك أساساً للخرافة والأوهام لأنه يقوم على تعدد الآلهة، مما يجعل الوجود خاضعاً لمزاجية الآلهة أو القوى الطبيعية غير المتوقعة. في المقابل، يكشف التوحيد قوانين الخلق المرتبطة بوحدانية الخالق، ويدعو إلى تحرير العقل من عيب التقليد والتحرر من رواسب الماضي التي لا تستند إلى دليل عقلي أو يقيني.

هذا التحرير يلزم العقل بالاعتماد على اليقين والتثبت، بدلاً من الظن والتخمين، وهو ذاته المبدأ المؤسس للمنهج العلمي التجريبي القائم على الدليل والبرهان. وبالتالي، فإن من أبرز ثمار التوحيد، تأسيس الاستقلال العقلي ورفض الوصاية الفكرية.

قال الله تعالى: ﴿وما لَهُم بِهِۦ مِن عِلمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغنِي مِنَ ٱلحَقِّ شَيـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وقال أيضا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

المبحث الثاني: نقد الخرافة والأسطورة

كانت المجتمعات البشرية قبل الإسلام تقوم على منظومة واسعة من الخرافات المرتبطة بالآلهة المتعددة، والكهنة، والتطير، والتشاؤم، والحجب، والعرافة... إلخ. وجاء التوحيد لإنهاء فكرة التصورات الأسطورية للكون، فواجه تلك البنية الذهنية مواجهة منهجية، ليس عبر الإلغاء المباشر فحسب، وإنما عبر ترسيخ منهج التفكير العقلي الشرعي.

ومن ذلك رفض التفسير الأسطوري للكون، مثل نسبة الظواهر الطبيعية إلى آلهة مختلفة : إله المطر، و إله الخصوبة، و إله الرياح، و إله الحرب، وإله الشمس، وغيرذلك من الأوهام.

فجاء القرآن لينفي خرافات الشرك ويعيد الإنسان إلى حقيقة التوحيد في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. وبذلك ألغى الأساس الفكريَ للأسطورة وأقر وحدةَ النظامِ الكوني.

وفي الحديث النبوي: عن الْمُغيرة بْن شُعْبة قَالَ: كَسفت الشَّمْس عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه ﷺ يوم مَات إبْراهيم، فَقَالَ النَّاس: كَسفت الشَّمْس لموت إبْراهيم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (إنَّ الشَّمس وَالْقَمر لَا يَنْكَسفَانِ لموت أَحد وَلَا لحياته، فَإِذَا رَأَيتم فَصَلُّوا وادعوا اللَّه)[١١].

وَهذا لا يعنِي أنه لا عَلاقَةَ للغيب والعقائد بظواهر الطبيعة، بل لا تناقض بين نصوص الوحي وظواهر الكون لأن المصدر واحد هو الله الخالق العليم الحكيم سبحانه وتعالى. فكل ما وافق الوحي من تفسيرات فهو صحيح، وكل ما نفى الوحي صحته فهو غير صحيح.

كما أن التوحيد إبطال للعشوائية، فبه ينتفي تصور الكون باعتباره فوضوياً أو خاضعاً للحظ، ويرسّخ الوحي أن الكون منظّم وفق نظام دقيق. قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٖ﴾ [الرعد: ٨].

المبحث الثالث: رفض الكهانة والعرافة والسحر والشعوذة

الكهانة كانت تمثل المرجعية العقلية في الجاهلية. فجاء القرآن ليؤكد أن الغيب بيد الله وحده، وأن العقل لا يساق بالكهنة، وأن الإنسان مسؤول عن قراراته. قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال ﷺ: "من أتى كاهنا أو عرافا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد"[١٢]

فعندما يسود منهج النظر يختفي: السحر والتنجيم والعرافة والشعوذة والإيمان بالأسباب الوهمية، ويحل محلها: التفكير المنهجي، والبحث التجريبي، والاستقراء، والمقارنة، والتحليل، والنقد والتمحيص...

التوحيد يقطع الطريق على أي محاولة لاستغلال الغيب ضد الإنسان، ويعيده إلى العلم والعمل. ولا يعني هذا رفضا للإيمان بالغيب، بل هو رفض للغيبيات الكاذبة، ومنع للاتجار بها عبر التنجيم، والأبراج، والسحر، وقراءة الطالع وما شابه ذلك.

ولقد أغلق التوحيد الباب نهائيا على مدّعي معرفة الغيب، حين قال الله عز وجلّ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

المبحث الرابع: منع التطير واليأس والاستسلام

كان الناس يتشاءمون بالطير أو الحوادث، فأبطل التوحيد التطير (التشاؤم)، وقرر القرآن أن البركة والشر مرتبطان بالسلوك البشري لا بالإشارات الوهمية، وكل ذلك من قضاء الله الحكيم وقدره. قال رسول الله ﷺ: "لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ". قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ."[١٣]

كما حرم الإسلام اليأس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]. فالله سبحانه يطمئن المؤمنينَ بأنه دائماً معهم، إذا سألوه فإنه قريب منهم يجيبهم إذا دعوه، وهذه قمة الأمن النفسي للإنسان.

ومن آفات المجتمعات الخرافية الشعور بأن الإنسان مسير من قوى غيبية غامضة، لا يفيد معها أي عمل واجتهاد، وتنتفي معها كل مسؤولية للإنسان. لكن التوحيد أعاد للإنسان محوريته ومسؤوليته، فذكّره بأنه مكلّف، وقادر، ومسؤول، ومحاسب. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

كما أكد التوحيد على أهمية إرادة التغيير، وفاعلية الإنسان في التغيير حيث ربط التغيير بالفعل الإنساني لا بالطقوس السحرية أو ضربات الحظ، وحفز الإنسان على تغيير ما بنفسه بعيدا عن التواكل. قال الله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد:١١).

المبحث الخامس: رفض التقليد

كان العقل الجاهلي أسير التقليد ، وقد بين ذلك قوله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

فجاء التوحيد ليحرر الإنسان من السلطة الفكرية الجاهلية للأجداد، ومثل ثورة على التقليد الأعمى، حيث دعا القرآن في عدة مواضع إلى تحرير العقل من رواسب الماضي، وعدم تعطيله بالتسليم بالمقلّدات الموروثة حديثة كانت أو قديمة، ونبذ الوراثة الباطلة؛ ودعا إلى اعتماد البرهان، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

فالإسلام يرفض التعطيل العقلي، ويحارب التبعية العمياء والتقليد الموروث، ويدعو إلى التحرر من عيب التقليد والتبعية الفكرية باعتباره شرطا لولادة عقل قادر على البحث والاكتشاف. وذلك

يقتضي اعتماده على اليقين والتثبت لا على الظن والتخمين لأنّ مسؤولية الجوارح عظيمة وبالتالي مسؤوليات صاحبها.

لقد أوضح القرآن الكريم أن الانقياد للتقليد الأعمى هو العائق الأكبر أمام التفكير الصحيح، معتبراً إياه مسؤولية معرفية وأخلاقية عظيمة.

وفي سياق هذا النوع من التحرير لنشاط العقل البشري وعمله تأتي تلك النصوص التي تعيب على المشركين التقليد الضال البعيد عن التعقّل السليم في مثل قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠).

هذا النص القرآني يظهر أن التوحيد ليس مجرد عقيدة، بل منهج نقدي يرفض أن يعطّل العقل بالتسليم غير المشروط للموروثات. وهذا الرفض للتقليد يعدّ إعلاناً قرآنياً عالمياً لتحرير العقل من الرواسب الجاهلية والاعتقادات غير المبنية على برهان.

فالتوحيد، في جوهره، عملية تنوير للعقل ليقوم على اليقين لا الظن، وعلى البرهان لا الأوهام.

وهكذا فإن التوحيد يرتبط بالعقل ارتباطاً جوهرياً لأنه:

- يحرر العقل من تعدد الآلهة وما يصاحبه من تصور فوضوي للكون.
- يزيل الخرافة، فيجعل العقل يبحث عن الأسباب والسنن بدلاً من الأساطير.
- يجعل الكون منظومة قابلة للفهم والاكتشاف.
- يستلزم النظر والتفكر، لأن العبادة في جوهرها قائمة على العلم والوعي.

فالتوحيد ثورة معرفية انتقلت بالإنسان من الإسناد المتعدد والتفاسير الخرافية (الشرك) إلى إسناد كل شيء لمسبب واحد للأسباب (الله)، مما يلغي مفهوم الصدفة والعبث، ويسدّ الطريق أمام الخرافة والتنجيم، ويؤسس بذلك للتفكير السببي المنهجي الذي هو أساس العلم.

لقد دعا التوحيد إلى تحرير العقل من كل ما يعوق اهتداءه إلى الحق والخير:

فالعقل قبل أن يحرره التوحيد تسيطر عليه الخرافات والأوهام والمعتقدات الباطلة، وبالتوحيد يتحرر العقل فلا يقبل إلا المعتقدات الصحيحة من الكتاب والسنة.

وبغير التوحيد يغلب عليه الظن والتخمين والهوى، وبالتوحيد يتحقّق اليقين ويحترم البرهان العقلي والشرعي، ويسلّم للحجة القاطعة ويحترم التخصص...

وعند غياب التوحيد يستسلم للتقليد ويسلم بالمقلّدات الموروثة حديثة كانت أو قديمة، وبالتوحيد يتطلع العقل إلى التجديد الإيجابي والاجتهاد الصالح.

وبعيدا عن التوحيد يسقط في الخوف من الطبيعة، ويفقد معنى الوجود والحياة، وبالتوحيد ينطلق النظر العقلي واستثمار السنن الكونية.

وبلا توحيد يهيمن التفكير التبريري، ويسيطر تمجيد الذّات وتبرئتها من كل عيب أو مسؤولية، أما بالتوحيد فيحضر النقد الذاتي.

وبفقدان التوحيد يعم التفكير الفرداني الأنوي، وبالتوحيد يتوازن التفكير بين الفردية والجماعية.

وبدون ميزان التوحيد يميل العقل إما إلى الخمول والجمود وإما إلى الشطط والغرور، وبالتوحيد يزدهر التفكر والمبادرة في تواضع وربانية باعتدال وتوسط.

وبعيدا عن التّوحيد يسارع الإنسان إلى التسليم لعقلٍ غير صريح معرضا عن تدبر النّقل الصحيح، أما التوحيد فيصنع إنسانا متوازنا متمسكًا بكل عقل صريحٍ ومحترما للنقل الصحيح.

الفصل الثالث: علاقة التوحيد بالنظر العقلي واكتشاف السنن الكونية

المبحث الأول: الألفاظ القرآنية الداعية إلى النظر وتعقل الوجود

لا تقتصر دعوة التوحيد على الإيمان بالوحدانية فحسب، بل هي دعوة إلى "العمل المعرفي" الذي يهدف إلى تعقل الوجود وفهم نظامه. والنظر في الكون مطلب قرآني أصيل، يدلّ على ذلك العدد الكبير من الألفاظ القرآنية التي تحث على إعمال العقل كأداة للمعرفة، حيث وردت أوامر النظر في مئات المواضع، بصيغ متعددة. وتكرار هذه الصيغ يجعل النظر منهجاً دينياً لا خياراً بشرياً.

ومن الألفاظ القرآنية الكاشفة عن المنهج المعرفي الإسلامي، والداعية إلى النظر وتعقل الوجود واكتشاف السنن الكونية ما جمعته في الجدول التالي:

اللفظ	الآية
ٱقرأ	﴿ٱقرأ بِٱسمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]
تَعقِلُونَ/ يَعقِلُونَ	﴿أَفَلَا تَعقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]/ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَومٖ يَعقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]
تَتَفَكَّرونَ/ يَتَفَكَّرونَ	﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]/ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَومٖ يَتَفَكَّرونَ﴾ [الرعد: ٣]
يَتدبَّرونَ	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلقُرءَانَ أَم عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقفَالُهَآ﴾ [مُحَمَّد: ٢٤]
ينظُرونَ/ ٱنظُروا	﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلإِبِلِ كَيفَ خُلِقَت * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيفَ رُفِعَت * وَإِلَى ٱلجِبَالِ كَيفَ نُصِبَت * وَإِلَى ٱلأَرضِ كَيفَ سُطِحَت﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] / ﴿قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ﴾ [يونس: ١٠١]
تُبصِرونَ/ يُبصِرونَ	﴿وَفِي أَنفُسِكُم أَفَلَا تُبصِرونَ﴾ [الذاريات: ٢١] / ﴿أَفَلَا يُبصِرونَ﴾ [السجدة: ٢٧]

يفْقَهونَ	﴿قَد فَصَّلنَا ٱلأٓيَٰت لقَوم يفقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]
تتَذَكَّرونَ/ تذَكَّرونَ/ يتَذَكَّرونَ/ يذَّكَّرونَ	﴿أَفلا تتذَكَّرون﴾ [الأنعام: ٨٠]/ ﴿أَفَلا تذَكَّرونَ﴾ [هود: ٢٤]/ ﴿وَيبين ءَايَٰتهۦ للنَّاس لَعَلَّهُم يتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]/ ﴿قَد فَصَّلنَا ٱلأٓيَٰت لقَوم يَذَّكَّرَونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]
العلم ومشتقاتها	﴿وقُل رَّبِّ زدني علما﴾ [طه: ١١٤] / ﴿قَد فَصَّلنَا ٱلأٓيَٰت لقَوم يعلَمون﴾ [الأنعام: ٩٧]

إن التنوع في الألفاظ المستخدمة (مثل النظر، التبصر، التفكر، التعقل، التدبر، العلم، القراءة، الفقه، التذكر) يؤكد أن العملية المعرفية المطلوبة هي عملية شاملة ومستمرة، تتراوح بين الاستقبال الأولي للحس والملاحظة (النظر والبصر) والعمليات العقلية المعقدة (التفكر والتدبر). ومن أركان هذه العملية المعرفية: الجمع والتحصيل المعرفي، وفهم واستخلاص النتائج الجوهرية (إدراك العلل)، والتأمل العميق في التفاصيل واستحضار النتائج، والنظر في عواقب الأمور وبواطنها (التحليل البنيوي)، والملاحظة الحسية المباشرة والموجهة.

المبحث الثاني: أهمية النظر العقلي في بناء عقيدة التوحيد وترسيخها

التوحيد ليس عقيدة تتطلب التسليم المطلق دون دليل، بل هو حقيقة يمكن الوصول إليها من خلال النظر العقلي الموجه والتأمل في الكون، إضافة إلى الدليل الفطري والأدلة النقلية. قال الله تعالى: ﴿سنُريهم ءَايَٰتنَا في ٱلأٓفَاق وفيٓ أَنفُسهم حَتَّىٰ يتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ ٱلحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعلَم أَنَّهُۥ لَآ إلَٰه إلَّا ٱللَّه﴾ [مُحَمَّد: ١٩].

والقرآن الكريم يوفرَ منهجا استدلاليا مفتوحاً للجميع، حيث يحول الكون بأكمله إلى "كتاب مفتوح" مليء بالآيات والبراهين. كما يربط بين الإيمان الصحيح والنظر العقلي، ويدعو إلى دراسة الظواهر في الآفاق والأنفس، وإلى التأمل في قوانين الكون.

وتكشف الآيات أنّ العقل ليس خصما للإيمان، بل طريق إليه، وأن الكون منظومة من القوانين المنضبطة التي تدلّ على حكمة الخالق وقدرته.

ويعرض القرآن عشرات الآيات التي تستنهض الفكر، ومنها ما جاء في سورة البقرة من إشارة إلى تنوع مجالات النظر العقلي، حيث قال الله تعالى: ﴿وإلَٰهُكُم إلَٰهٌ وَٰحدٌ لَّآ إلَٰه إلَّا هو ٱلرَّحمَٰن ٱلرَّحيم. إنَّ في خَلق ٱلسَّمَٰوَٰت وَٱلأَرض وَٱختلَاف ٱلَّيل وَٱلنَّهار وَٱلفُلك ٱلَّتي تَجري في ٱلبَحر بمَا ينفَع ٱلنَّاس وَمآ أَنزلَ ٱللَّه من ٱلسَّمَآء من مَّآء فَأَحيا به ٱلأَرض بعد موتهَا وَبثَّ فيها من كُل دَآبَّة وتَصريف ٱلرِّيَٰح وَٱلسَّحَاب ٱلمُسَخَّر بَينَ ٱلسَّمَآء وَٱلأَرض لَأٓيَٰت لَّقَوم يعقلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٣- ١٦٤].

تؤكد هذه الآية على تنوع وشمولية مجالات البحث العقلي، مقدمةً منظومة متكاملة من الظواهر الكونية والطبيعية دليلاً على وحدانية الخالق وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وكرمه وسائر أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ويغطّي هذا النص القرآني كل أصناف العلوم النافعة مثل الفلك، الجيولوجيا، البيولوجيا، والأرصاد الجوية، ويختمها بدعوةٍ صريحة لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. ولا أبالغ حين أقول: لا يوجد ولن يوجد علم نافع لم تُشر إليه هذه الآية، لأن أي علم موجَودٌ أو سيكتشف مستقبلا مرتبط بالضرورة ومتفرع لا محالة عن إعمالَ العقل في خلق السماوات والأرض وما فيهما، كما دعت إليه الآية.

وفي القرآن إضافة إلى هاتين الآيتين دعوات كثيرة إلى النظر إلى عدة مجالات كونية مثل: حركة الشمس، ومنازل القمر، وخلق الإنسان، وطبقات السماء، والجبال، والنبات والحيوان وغير ذلك. وهذا الاتساع يدل على أن الكون كتاب شامل لتحصيل العلم.

هذا الربط المباشر بين ظواهر الطبيعة المعقدة وبين ضرورة إعمال العقل يجعل النظر مثمرا ويحقق وظائف معرفية وعقيدية متعددة من أهمها:

- نفي الصدفة والعبثية: النظر في الكون يكشف نظاماً دقيقاً ليس فيه عشوائية ولا فوضى، يستحيل صدوره إلا من إله حكيم عليم قدير يخلق ويسيّر.
- إثبات الوجود الإلهي وترسيخ القناعة بعلمه وحكمته وقدَرته.
- كشف دقة نظام الكون: الدالة على عظمة قدرة الخالق وعلمه.
- إدراك حكمة الله عز وجل، وفهم قوانينه في الكون، وتقدير نظامه.
- كشف وحدة قوانين الخلق: وحدة قوانين الخلق (كقانون الجاذبية أو حركة الأفلاك) عبر مساحات الكون الشاسعة تدل بوضوح على وحدانية الخالق وتفرد الصانع، فلو تعدد الخالقون لتعددت القوانين واختل النظام.
- معرفة صفات الله الخالق، فالمخلوق يدل على صفات صانعه لأنه لا يمكن أن يوجد شيء في المصنوع إلا إذا كان الصانع يملك قدرة أو صفة تمكنه من صنع ذلك الشيء. فالنظر في المصنوعات يكشف عن صفات صانعها، كالتأمل في الإحياء بعد الموت (إحياء الأرض بالماء) يدل على صفة القدرة والإحياء، ودقة التصريف تدل على صفة العلم المطلق، مما يعزز توحيد الأسماء والصفات.
- تحويل العقل من عقل خرافي إلى عقل إيماني علمي.
- ذكر الله ودعائه وخشيته وعبادته القائمة على المعرفة والإدراك الواعي. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ . ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا

وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموت والأرض ربنا ما خلقت هذا بطلا سبحنك فقنا عذاب النار﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

إن التوحيد ليس انفعالاً عاطفياً، بل بناء عقلي قائم على فهم آيات الله في الأنفس والآفاق. والنظر في الكون وسننه يحقق عقيدة التوحيد ويرسخها، والكون كتاب مفتوح للقراءة، وليس لغزاً مغلقاً، بل خطاب إلهي مفتوح للنظر العلمي. لذلك في "آيات" القرآن كتاب الله المسطور، تتكرر الإشارة إلى "آيات" الكون كتاب الله المنظور، مثل قوله تعالى: ﴿سنريهم ءايتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت: ٥٣].

القرآن	الكون
كتاب الله المقروء (المسطور)	كتاب الله المنظور
فيه آيات نقرأها	فيه آيات ننظر إليها
آياته تدعونا إلى تعقل الكون	آياته تدعونا إلى معرفة الله الخالق
لا فصل بين كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور	

فالتوحيد يرسخ مبدأ عدم الفصل بين مصادر المعرفة، حيث تترابط آيات القرآن (كتاب الله المقروء) مع آيات الكون (كتاب الله المنظور). هذا الترابط يؤدي إلى بناء إيمان يقوم على المعرفة والإدراك الواعي وليس مجرد التلقين.

إن هذه الدعوة إلى التفكير المنهجي المستمر، كما تكرر في عدة آيات: ﴿لأيت لقوم يعقلون﴾ [النحل: ١٢]، تجعل فعل الإيمان عملية معرفية مستمرة، حيث يؤدي النظر في الكون إلى ذكر الله، وخشيته، وعبادته القائمة على البصيرة.

"وهكذا نجد أن الطريق الأول لمعرفة الله هو التفكر في مخلوقاته. فكلما ازداد الإنسان علماً بمخلوقات الله وأسرار خلقها ازداد إيماناً. لذلك حث الإسلام إلى التفكر وحض على العلم المفيد وأشار خاصة إلى العلوم الكونية التي تبحث في أسرار خلق الله."[١٤]

المبحث الثالث: دعوة التوحيد إلى تعقل الوجود واكتشاف السنن الكونية

دعوة التوحيد إلى تعقل الوجود واكتشاف السنن الكونية عبر ألفاظ قرآنية كثيرة دالة على العمليات العقلية (نظر، تبصر، تعقل، تفكر، تدبر، تدبر، إلخ)، فيها تركيز على أدوات معرفية مجدية، ودعوة صريحة ومنهجية لاكتشاف السنن الكونية.

وبما أن التوحيد حرر العقل البشري من الخرافة التي تقوم على تفسير غير عقلي للظواهر، فإنه قرر قاعدة السببية، وهذه هي قاعدة "**السننية**" التي يقوم عليها العلم الحديث.

فللتوحيد دور في بناء العقل السببي حيث تكرر في القرآن ربط النتائج بأسبابها: النصر له أسباب، والهزيمة لها أسباب، والرزق له أسباب، وهلاك الأمم له أسباب، والتغيير له أسباب... قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

قال ابن القيم مؤكدا علاقة القرآن بالأسباب: "لا تجد كتابا من الكتب أعظم إثباتا للأسباب من القرآن"[١٥]، ففي عديد المواضع من القرآن الكريم اعتبار للأسباب مثل قوله تعالى عن ذي القرنين: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٤-٨٥). ومن دلالات هذه الآية أنّ من نعم الله تعالى على الإنسان أنّ يؤتيه علما يتسبب به إلى ما يريد ويوصله إلى مقصوده.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا **بِهِ** جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (ق:٩). وفي الآية تصريح بأن الماء جعله الله سببا أنبتَ به بساتين وزرعا محصودا. وهذا إثبات للسببية.

كما أن في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣)، إثبات أن السنن التي تحكم هذا الوجود، كلها قدر من قدر الله تعالى، فهو سبحانه الذي قدرها وأراد لها أن تعمل على هذه الصورة من الاطراد، لكي يتوازن أمر الخلق، ويستطيع الإنسان تسخير ما في الكون في شؤون حياته.

والتوحيد محرك للبحث والاستكشاف، حيث أعاد تعريف الكون، ونبه إلى كونه كتابا مفتوحا، ظواهره ليست مادة للخوف، بل مادة للتعلم.

وبهذا فإنه فتح الباب أمام المنهج التجريبي، حيث دعا إلى أركانه المعروفة: الملاحظة، والاستقراء، والتحليل، والمقارنة، والاستنتاج؛ وهي أركان المنهج العلمي الحديث.

كما أحيى قيمة السؤال، أساس التقدم العقلي. والقرآن مليء بالاستفهمات المثيرة للتفكير:

- ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]
- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [النساء: ٨٢]
- ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]
- ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]
- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]
- ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ﴾ [طه: ٨٩]
- ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]
- ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢]
- ﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]
- ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾ [العاديات: ٩]
- ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٧]

- ﴿أَفَلَا يَشكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥]

يشكّل القرآن الكريم نقطة انعطاف في تاريخ الوعي الإنساني لأنه أسس لنموذج جديد في المعرفة يقوم على النظر العقلي، والتفكير السببي، وقراءة الكون قراءة منهجية.

فالقرآن لا يقدّم التوحيد بوصفه عقيدة مجردة، بل يربطه بالبنية الكونية وبالقوانين التي تسير الوجود. ومن هنا أصبح النظر في الآفاق جزءاً من عبادة العقل، واكتشاف السنن الكونية جزءاً من تحقيق العبودية لله عز وجل.

والمقصود بالسنن الكونية: القوانين الثابتة التي أودعها الله في الكون: لتنظيم حركته، وجعلها تعمل وفق نظام محكم لا يتخلّف. ولا تهم الطبيعة فحسب، بل هي أيضا القوانين الثابتة التي وضعها الله في حياة الأمم.

فالسنن الإلهية في الكون عدة أنواع:

- سنن كونية: قوانين الطبيعة (الجاذبية، حركة الكواكب...)
- سنن اجتماعية: قيام الحضارات وسقوطها، العدالة، الظلم...
- سنن نفسية: أثر الإيمان، أثر الخوف، أثر العمل...

والقرآن يدعو إلى اكتشاف القوانين التي وضعها الله في الكون، لأنها تشكّل إطارا لتفسير الظواهر الطبيعية والتاريخ ية على أساس من النظام والضبط، بعيداً عن الفوضوية أو المصادفة. وهي "سنن" ثابتة لا تتبدل. والتعامل مع هذه السنن عبر البحث العلمي هو جزء من تحقيق العبودية القائمة على العمل والاستخلاف، لذلك كان اكتشاف السنن أساس النهضة العلمية، والإسلام حرر العقل من الاعتقاد في العشوائية، وأكّد أن الكون منظّم وفق قوانين دقيقة، مما فتح الباب أمام العلوم الطبيعية والتجريبية.

فالتوحيد لا يكتمل بمجرد الاعتقاد، بل لا بد له من نظر، وتدبر، وتفعيل للعقل في فهم الوجود.

وقد استخدم القرآن ألفاظاً متعدّدة للدلالة على السنن والقوانين الكونية، تثبت أن الكون قائم على نظم دقيقة، وأن كل شيء في الكون له غاية، ونظام، وقانون، وأن خلق الله وتسييره للأمور يتم وفق حكمته المطلقة.

وفيما يلي جدول جمعت فيه كثيرا من هذه الألفاظ:

٤. جدول الألفاظ القرآنية الدالة على سنن الكون وقوانينه

اللفظ	النص	الدلالة
سنَّة	﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿سَنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ [الفتح: ٢٣]	ثبات القوانين الإلهية في الكون ومصائر الأمم.

سنن	﴿قَد خَلَت من قَبلِكُم سُنَن﴾ [آل عمران: ١٣٧]	قوانين ثابتة تتكرر في التاريخ والكون ويمكن ملاحظتها.
لا تبديل	﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبدِيلا ﴾ [فاطر: ٤٣]	تأكيد ثبات السنن والقوانين وعدم تغيرها.
لا تحويل	﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]	لا تغير القوانين ولا تنقلب.
قدّر/ تقدير/ تقديرا	﴿وخلق كُلَّ شيء فقدَّره تقديرا﴾ [الفرقان: ٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخرِجُ ٱلحَيَّ مِنَ ٱلمَيِّتِ وَمُخرِجُ ٱلمَيِّتِ مِنَ ٱلحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤفَكُونَ فَالِقُ ٱلإِصبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيلَ سَكَنا وَٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ حُسبَانا ذَٰلِكَ تَقدِيرُ ٱلعَزِيزِ ٱلعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٦]	ضبط المقادير المحكمة والقوانين الشاملة المنظمة للخلق.
قَدَر	﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]	شمول القوانين لكل ما في الوجود.
قَدَر معلوم	﴿وَإِن مِّن شَيءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]	وجود ضوابط كونية دقيقة ومحددة لا تنفلت.
مقدار	﴿وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُۥ بِمِقدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]	النظام والتقدير الدقيق والتناسب المحكم في الخلق.
الميزان	﴿وَوَضَعَ ٱلمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]	قانون التوازن الدقيق في الكون والخلائق.
بحُسبَان	﴿ٱلشَّمسُ وَٱلقَمَرُ بِحُسبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]	وفق حساب دقيق
أَجل	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُم لَا يَستَأخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَستَقدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]	قانون انتهاء الأشياء في وقت محدد.
الإحكام	﴿كِتَٰبٌ أُحكِمَت ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَّدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]	إتقان القوانين والتشريعات إضافة إلى الدقة والتنظيم المحكم في الخلق.
الإتقان	﴿صُنعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ [النمل: ٨٨]	الإتقان الكامل والشامل للخلق وقوانينه. الإحكام الدقيق أصل جميع السنن

		الكونية.
التسوية	﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ٢]	تسوية وتناسق في الخلق وجعل الأشياء على نسب دقيقة.
الإبداع / بديع	﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]	الخلق على غير مثال سابق وفق قانون إبداعي محكم.
التدبير	﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]	الإدارة الإلهية لشؤون الكون بنظام محكم.
التكامل ضد التفاوت	﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]	تكامل أجزاء الكون وفق نظام واحد بلا عيب أو خلل
الحكمة	﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]	كل سنن الكون قائمة على غايات حكيمة.
الخلق بالحق	﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣]	نظام الخلق قائم على غاية حكيمة ونظام عادل
القسط	﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]	التوازن الدقيق والعدل الكوني. العدل أساس القوانين وأساس النظام.
العهد / الميثاق	﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]	الالتزام بقوانين الله الإيمانية والشرعية والاجتماعية والقواعد الأخلاقية الثابتة.
التسخير	﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]	جعل وهيأ لكم الكون وقوانينه. وهذا نقيض لما توهمه البعض من صراع مع الطبيعة.
الفطرة	﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]	قانون الثبات الفطري لدى البشر أي قانون الخلقة الإنسانيّة.
العبرة	﴿فاعتبروا يا أُولِي الْأَبصارِ﴾	الاستفادة من تكرار السنن في التاريخ.
الإحصاء	﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]	الدقة والضبط العددي في الكون.
القضاء	﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا	إحكام الأوامر والأقدار وفق علمه

	﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨]	وحكمته.
الإرادة والمشيئة	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]	المشيئة الإلهية وراء انتظام السنن لأنها قائمة على العلم والحكمة، وفي هذا نفي للصدفة والعبثية. خضوع الأحداث لمشيئة نافذة تحكم السنن. قانون المشيئة الذي ينظم حركة الكون.
الفصل/ التفصيل	﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧] ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٢]	بيان القوانين والسنن بشكل واضح.
العاقبة	﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]	السنن الأخلاقية في مصائر الأمم، وقانون الجزاء وارتباط النتائج بالأعمال. للأمم قوانين ثابتة تحكم نهوضها وسقوطها، والتكذيب والفساد يقودان حتما إلى الهلاك. التاريخ ليس أحداثاً عشوائية، بل تجري فيه قوانين وسنن إلهية يمكن إدراكها لمن يتفكر ويسير في الأرض.
التداول	﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]	قانون تغير أحوال الأمم.
الابتلاء	﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٥]	قانون الامتحان الإلهي.
الزوجية	﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]	قانون الأزواج.

كل هذه الألفاظ تشير إلى بناء كوني قائم على التنظيم والدقة وعلى سنن تتميز بعدة خصائص منها:

- الثبات: قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].
- الشمول: تشمل السنن الخلائق والمجتمعات.
- العموم: تشمل المؤمن وغيره.
- الاطّراد: الاستمرار والتتابع دون تخلف.
- السببية: لكل نتيجة سبب.
- العدل: لا تحابي فرداً أو أمة.

وبهذه الخصائص يؤسس القرآن لما يشبه اليوم مفهوم القانون العلمي، ويدعو إلى قراءة الوجود قراءة واعية تكشف قوانين الحركة والتغير والسببية؛ مما يشجع على بناء علوم الطبيعة والرياضيات والفلك.

هذا الجدول يجمع أهم الألفاظ التي تدل على السنن والقوانين، ويبين من خلالها كيف انعكس الترتيب، الإتقان، التدبير، والقدرة الإلهية على مختلف مظاهر الكون والحياة.

وعبارة "سنّة الله" تشير إلى تكرار النظام الإلهي في الكون والحياة البشرية، مثل التقدير، الجزاء، التدبير، والابتلاء، بما يضمن استقرار النظام الكوني والاجتماعي.

وكذلك عبارات الخلق والإتقان والإبداع وما شابهها تشير إلى أن كل شيء في الكون مخلوق بإحكام ووفق نظم دقيقة، نافية لأي عبث أو فوضى، وتعكس قدرة الله المطلقة.

أما عبارات الحكمة والقدرة والعدل وما شابهها، فهي تؤكد على أن كل ظاهرة أو حدث في الكون له سبب وحكمة، وأن النظام الكوني قائم على عدل محكم، بعيداً عن الظلم أو العشوائية.

وعبارات التدبير والتسخير والتصريف، تؤكد أن كل شيء في الطبيعة والمجتمع والإنسان يتبع قوانين دقيقة، من حركة الشمس والقمر إلى نظم الحياة الاجتماعية والأخلاقية.

وأما عبارات الجزاء والهداية وما شابهها، فتظهر أن النظام الكوني لا يقتصر على الطبيعة فقط، بل يشمل الجانب الأخلاقي والروحي للإنسان، حيث كل عمل مرتبط بعاقبة واضحة ضمن سنن ثابتة.

وهكذا فإن نصوص الوحي تدل على أن الكون لا عبث فيه، وكل شيء قائم على نظام محكم، كما أنها تحمل إشارات دقيقة إلى السنن الكونية، وتربط المفاهيم الإيمانية بالحقائق العلمية والطبيعية والاجتماعية، وتقدم مرجعا شاملا يمكن الاعتماد عليه في دراسة العلاقة بين الشرع والنظام الكوني.

أما في الجدول التالي، فقد جمعت عددا مما ينفيه الوحي من أفعال أو صفات تتعارض مع السنن والقوانين الكونية: وهي العبث، واللعب، والهزل، والباطل، والشرك، والظلم، والسدى والإهمال، والنوم، والنسيان، والغفلة والسهو، واللغوب والتعب، والتناقض، والتفاوت غير المنضبط، والمساواة بين الخير والشر، واليأس من رحمة الله عز وجل.

٥. جدول ما ينفيه الوحي مما يناقض السُّنن والقوانين الكونية

اللفظ المنفي	النص	الدلالة
العبث/ عبثا	﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَٰكُم عَبَثٗا﴾ [المؤمنون: ١١٥]	نفي العبث عن خلق الإنسان وعن كل خلق، وإثبات الحكمة والغاية والنظام.
اللعب/لاعبين	﴿وَمَا خَلَقنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ وَمَا بينهما لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨]	نفي اللعب في الخلق والفوضى في التدبير، وإثبات جدية القانون الكوني.
الهزلية	﴿إِنَّهُۥ لَقَولٞ فَصلٞ. وما هو بِٱلهَزلِ﴾ [الطارق: ١٣-١٤]	نفي الهزلية والعبث في كلام الله، وفي أمره وخلقه، وإثبات الجدية في الخلق.
الباطل/ باطلًا	﴿وَمَا خَلَقنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرضَ وَمَا بينهما بَٰطِلٗا﴾ [ص: ٢٧]	نفي الخلْق عبثا دون حكمة وفائدة.
شريك	﴿وَلَم يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلمُلكِ﴾ [الإسراء: ١١١]	نفي تعدد مدبري الكون، وإثبات وحدانية الخالق ووحدة القانون والنظام.
الظلم	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظلِمُ مِثقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠]	نفي الظلم؛ مما يدل على عدالة السنن.
السدى والإهمال	﴿أَيَحسَبُ ٱلإِنسَٰنُ أَن يُترَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]	نفي خلق الإنسان بلا غاية وتركه مهملا بلا توجيه أو قانون، لا يكلَّف ولا يُجازى.
النوم	﴿لَا تَأخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَومٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥]	نفي النوم عن الإله، مما يثبت دوام تدبير السنن.
النسيان	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: ٦٤]	نفي النسيان؛ مما يدعم دقة القانون الكوني.
الغفلة والسهو	﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلخَلقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]	نفي السهو والجهل والإهمال والعجز في التدبير الكوني.
اللغوب / التعب	﴿وَلَقَد خَلَقنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ وَمَا بينهما فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا من لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨]	نفي التعب والإعياء ونقص القوة؛ وإثبات كمال القوة واستمرارية حسن التدبير.
التناقض	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلقُرءَانَ وَلَو كَانَ مِن عند غَيرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فيه ٱختِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]	نفي التضارب والاعوجاج، في كلامه وأمره وخلقه، وإثبات لاتساق القوانين.

التفاوت غير المنضبط	﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]	نفي الخلل والعيب والاختلاف والاضطراب وعدم التناسق في النظام الكوني.
المساواة بين الخير والشر	﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]	نفي العبث الأخلاقي.
اليأس من رحمة الله	﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]	نفي الانقطاع في سنن الفرج.

من أهداف هذا الجدول:

- توضيح أن القرآن والسنة لا يكتفيان بإثبات النظام، بل ينفيان تماما كل ما يشوش على هذه السنن والقوانين.
- تقديم مرجع يمكن الاعتماد عليه في دراسة توازن النظام الكوني بين الإثبات والنفي.
- ربط المبادئ الأخلاقية والاجتماعية والطبيعية بالحقائق الكونية، بحيث يصبح الإنسان قادرا على إدراك التناغم بين الشرع والنظام الكوني.

وهكذا فإن السنن والقوانين الكونية التي خلقها الله قائمة على الإحكام، والحكمة، والإتقان، والتقدير، والعدل... وكل ما يخالف هذه السنن يعدّ عبثا، وفوضى، وانحرافا عن النظام الإلهي. وقد أكدت النصوص القرآنية والسنة النبوية على نفي كل صور العبث، والعشوائية، والانفلات، سواء في الطبيعة، أو في الحياة الاجتماعية، والأخلاق، والجزاء.

كما أن اكتشاف السنن الكونية عبادة، والدعوات المتكررة إلى النظر ليست دعوة تأملية سلبية، بل هي دعوة إلى البحث الاستقصائي الذي يهدف إلى اكتشاف السنن الكونية.

التوحيد يضمن أن هذه السنن ثابتة ومحايدة، لأنها صادرة عن إرادة إلهية واحدة لا تتغير ولا تتبدل. وفعل ا لنظر، الذي يوجه إلى الكون (الآفاق) والنفس (الأنفس)، هو أساس العلوم الطبيعية (في الآفاق) والعلوم الإنسانية والاجتماعية (في الأنفس). هذا الاستقراء الشامل هو الذي يقود في النهاية إلى الهداية والإيمان.

الفصل الرابع: رمزية الأمر بالقراءة واتساع مفهوم العلم في الإسلام

يهدف هذا الفصل إلى تحليل رمزية الأمر بالقراءة في أول الوحي، وأبعادها العقلية والوجودية والدينية، ودورها في تشييد الوعي الحضاري الجديد.

كما يبين اتساع مفهوم العلم في الإسلام ليشمل كل معرفة يقينية نافعة، سواء كانت شرعية أو كونية.

المبحث الأول: رمزية الأمر بالقراءة في أول الوحي وبناء الوعي المعرفي

افتتاح الوحي الإلهي بلفظ "اقْرَأْ" نقطة تحول حضاري ونقطة تأسيس محورية في تاريخ المعرفة الإنسانية، إذ أسس لعلاقة معرفية بين الإنسان والوحي. فبداية الرسالة الإسلامية بأمر يتعلق بالقراءة لا تَعدّ مجرد فعل لغوي، بل هي إعلان عن مشروع حضاري قائم على العلم، والوعي، والنظر، وتجاوز الجهل والخرافة.

وهذا يدلّ على أنّ الإسلام قام على المعرفة قبل الطقوس، وعلى الفكر قبل الحركة. كما يكشف عن رؤية إسلامية تجعل المعرفة وسيلة للترقي الإنساني، ومفتاحا لفهم الكون والتوحيد، وسبيلا إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

لقد كانت هذه الآيات أول ما نزل من القرآن الكريم: " بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" [العلق: ١-٥]

ومن الدلالات العظيمة لهذه الآيات، وخاصة افتتاح الوحي بالفعل «اقرأ»:

- أن الأمر بالقراءة في أول كلمة من الوحي دليل على عظمة القراءة ومكانة العلم والعقل في الإسلام.
- القراءة فعل تأسيسي لرسالة تقوم على المعرفة، ودعوة تبدأ بالوعي، وتصور إسلامي للوجود يبدأ من الفعل المعرفي قبل الطقوس.
- على المسلم أن يقرأ استجابة لأمر الله تعالى.
- المعرفة ضرورة وجودية وطريق للهداية.
- لا فصل بين الإيمان والوعي والعبادة والمعرفة.
- القراءة حق للخالق على المخلوق لأنها وسيلة معرفة الله.
- غاية القراءة معرفة الله تعالى، ووسيلتها النظر والتحري في آياته سبحانه المقروءة والمنشورة.
- ممارسة هذه القراءة صورة من صور الشكر للخالق، لأنها قراءة باسمه، ومع اسمه.
- القراءة ليست آلية لغوية فقط، بل هي تشمل قراءة النص المنزل، وقراءة الكون، وقراءة التاريخ، وقراءة الذات، وقراءة سنن الله. فالقرآن يوسع مفهوم القراءة ليصبح منهجاً لإدراك الوجود.
- القراءة باسم الله تجعل المعرفة فعلاً إيمانيًّا تعبديًّا منضبطا لأحكام الله.

- التلازم بين القراءة والتوحيد، حيث ارتبط الأمر بالقراءة بذكر الرب الخالق: «اقْرَأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذي خَلَقَ». وهذا يفيد أن القراءة ليست ممارسة معرفية محايدة، وأن العلم ينبغي أنَ يقود إلى معَرفة الله، وأن التوحيد هو الغاية العليا للقراءة الواعية.
- التعلم عبادة، ومقاومة الأمية والجهل والخرافة واجب ديني، والعقل الذي لا يتعلم معرض للخرافة التي حاربها التوحيد.
- الأمر بالقراءة نقطة البدء في تحرير الإنسان من الجهل والخرافة، وفي توجيه مسيرة الحضارة نحو العلم والوعي والهداية.
- القراءة وسيلة لبناء الوعي الكوني بتوسيع مدارك الإنسان. فالقراءة باسم الله تقود إلى رؤية الوجود على أنه منظومة متناسقة، والانتقال من الجزئيات إلى الكليات، واكتشاف القوانين، وتنمية الحس النقدي، وبناء عقلية علمية، والالتزام بقيم التوحيد.
- افتتاح الوحي بالأمر «اقرأ باسم ربك» ليس مجرد حدث تعبدي، بل هو إعلان لمشروع معرفي عالمي يقوم على مركزية العقل، والحرية المسؤولة للتفكير والمعرفة، ووحدة العلم، وارتباط العلم بالتوحيد، وبناء وعي كوني شامل.
- الأمر بالقراءة كان منطلقا حضاريا للأمة الإسلامية وإشارة تأسيسية للمشروع المعرفي الإسلامي، لا يمكن تجاوزها عند دراسة العلاقة بين التوحيد والمعرفة.
- الأمر بالقراءة ليس مجرد دعوة للقراءة الحرفية، بل هو إعلان عن تأسيس مشروع حضاري يقوم على العلم والتدوين.
- القراءة باسم الله تعالى ومع اسمه ترتبط بمعارف متعددة ومتنوعة:
  - معرفة الله تعالى (وهي أعظم معرفة)
  - معرفة النفس
  - معرفة الكون
  - معرفة الآخرة
- القلم في قوله تعالى: «عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» رمز للكتابة والتدوين والحجة والتوثيق لحفظ المعرفة، وتنظيم العقل ووضع الأفكار في نسَق، ورمز للعقل والثقافة وركيزة أساسية لحضارة المعرفة التي لا تقوم إلا بالذاكرة المكتوبة. لذلك يطلق على القلم الذاكرة الثانية بعد العقل. فالأمم لا تتقدم بالشفاهية إنما بالتوثيق والبحث، وتحويل المعرفة الشفوية إلى علم منظم وقابل للتراكم والتحقق. وهذا أساس المنهج العلمي.
- تكرار فعل «عَلَّمَ» مرتين ترسيخ أن الإنسان كائن قابل للمعرفة، وأن العلم هبة إلهية مرتبطة بالتكريم، وأن الجهل ليس جبرا بل حالة قابلة للتجاوز.

- القراءة طريق إلى معرفة النفس، وهي أحد محاور القراءة القرآنية، قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]. فالإنسان يقرأ فطرته، وتركيبته النفسية، وطاقاتَه، وحَدودَ قوته وضَعفه، مما يؤدي إلى بناء وعي ذاتي تؤطره عبودية الله.
- القراءة بناء للوعي بالآخرة، لأنها ليست بحثاً دنيوياً فقط، بل هي قراءة تربط الدنيا بالآخرة، والشهادة بالغيب، والفعل بالمسؤولية، والعلم بالهداية، والعمل بالجزاء. وبذلك تصبح المعرفة موجّهاً أخلاقياً.
- الأمَر بالقراءة بناء لخطاب إصلاحي مستمر ودعوة للنهضة، وأساس للتجديد، وقاعدة للتحرر العلمي، ومفتاح للانعتاق من التبعية الفكرية. فالقراءة هي أول الوحي، وهي أول شروط البقاء الحضاري.

وهكذا فإن الأمر بالقراءة في أول الوحي يعتبر أهم وأكبر منعطف مفصلي في التاريخ البشري، إذ يجعل العلم أساساً للارتقاء الروحي والحضاري. ولهذا دلالته في تاريخ الأمم والشعوب.

وإضافة إلى كل ما سبق، فإنه قد جاء في مطلع سورة القلم قسمٌ بالقلم والكتابة في قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]

وهٰذا القسم يحمل دلالات عميقة وعظيمة، من أهمها:

- تعظيم شأن العلم والمعرفة: فالقَلم أداة العلم الأولى، والكتابة وعاء المعرفة. والقَسم بهما يدلّ على أن الإسلام دين علمٍ وفكر، وأن نهضة الإنسان تقوم على التعلم والتدوين، لا على الجهل والتقليد الأعمى.
- شرف الكتابة ومسؤوليتها: ﴿وَما يَسطُرونَ﴾ تشمل كلّ ما يُكتب من الوحي المنزل والعلوم النافعة المستنبطة. والكلمة المكتوبة أمانة، ومسؤولية عظيمة أمام الله.
- تثبيت صدق رسالة النبي ﷺ: حيث جاء القسم بالقلم ردًّا على اتهام المشركين للنبي ﷺ بالجنون، وتنبيه إلى أنّ الذي أُنزل عليه هذا القرآن مؤيَّد بالعلم والحكمة، لا بالجنون والهوى. فالقسم هنا تأكيد لعلو عقل النبي ﷺ وصدق نبوته وعظمة رسالته.
- القلم وسيلة حفظ الدين: بالقلم حُفظ القرآن، ودُوّنت السّنّة، ونُقلت الشريعة عبر الأجيال. فالقسم به إشارة إلى قيمة العلم والكتابة في بقاء الدين وانتشاره.
- القلم مرتبط بالقَدر والتقدير: جاء في الحديث: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ اكْتُبْ؛ فَقَالَ مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ"[١٦]. فالقلم رمز لتقدير الله للأشياء بعلمه وحكمته، وأنّ كلَ شيء محسوب ومكتوب.
- رفعة الأمّة بالعلم: في زمن كان العرب يفتخرون بالقوة والبلاغة، جاء القَسم بالقلم والكتابة ليبين قيمة العلم في نهوض الأمم.

وهكذا فإن قَسم الله بالقلم والكتابة هو: تكريم للعقل، وتعظيم للعلم، وتحميل للإنسان مسؤولية الكلمة، وإعلانٌ أن الحضارة الإيمانية تقوم على الوحي + العقل + القلم.

ومن آثار افتتاح الوحي بالقراءة على مسار الحضارة الإسلامية تأسيس حضارة المعرفة. فقد جعلت هذه الآيات الأمة الإسلامية أمة كتاب، وأمة علم، وأمة تدوين، وأمة معرفة كونية؛ فنشأت المدارس، والكتاتيب، ودواوين العلم، والمختبرات، والمراصد الفلكية، وبرز العلماء والمفكرون في العلوم الشرعية، والعلوم الكونية: في المنهج التجريبي، والرياضيات، والطب، والفلك، والجغرافيا، والمنهج العقلي... وغير ذلك من المجالات العلمية التي يعتبر البحث فيها عبادة.

المبحث الثاني: اتّساع مفهوم العلم في الإسلام ومجالاته

العلم لغة: عند الفراهيدي من «عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، نقيض جَهِل»[١٧].

واصطلاحا: هو إدراك الشيء علَى ما هوَ عليه. قال الجَويني: «الْعلم معرفَة الْمعلُوم على ما هو به»[١٨] أي على ما هو به في الواقع. وعند الأصفهاني: «العِلْمُ: إدراك الشيء بحقيقته»[١٩].

ويطلق لفظ العلم على كل فنون المعرفة المتداولة، سواءَ ما يتعلق بالدنيا أو الآخرة، فيقال مثلا: علم التفسير، علم النّحو، أو علم الفيزياء، علم الطب وغير ذلك.

والعلم في الإسلام ليس محصوراً في الدين فقط، بل: يشمل كل معرفة يقينية نافعة، سواء كانت شرعية أو كونية، لأن العلم الشامل من أسس استخلاف الإنسان في الأرض: قال تعالى: ﴿وعلَّم ءادم ٱلأَسمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

وهذا الاتساع نابع من حقيقة أنّ مصدر العلم واحد، وأن اكتشاف قوانين الكون هو في جوهره قراءة لآيات الله عز وجل. وقد قدّم القرآن نماذج متعددة لعلوم الأرض والفلك والتاريخ.

وهذا الاتساع نابع أيضا من كون القرآن كتاب هدا ية، والهداية لا تتحقق إلا عبر رؤية موسعة للوجود.

فمفهوم العلم الشامل في الإسلام بوصفه إدراكًا للحقائق، لا يقتصر على المعارف الدينية، بل يشمل المعرفة الكونية، والمعرفة الاجتماعية، والمعرفة النفسية، والمعرفة التاريخية، والمعرفة الأخلاقية.

ولذلك أبرز مجالات العلم في الحضارة الإسلامية، باعتبارات متنوعة:

١. **العلوم الشرعية**: وهي التي تتعلق بفهم الوحي، وتشمل: علم العقيدة، وعلوم القرآن، والحديث الشريف، والفقه وأصوله، ومقاصد الشريعة، والسيرة، والمواريث، والتجويد، وغيرها من العلوم المرتبطة بالوحي. وتهدف هذه العلوم إلى تحقيق الهداية، وتنظيم الحياة، وتحقيق العبودية على بصيرة.

٢. **العلوم العقلية الاستدلالية:** تعتمد التفكير والتحليل والاستنباط والبرهنة، ومنها علم أصول الفقه حيث البحث في استنباط الأحكام الشرعية وتقعيد الضوابط الشرعية، ومنها الرياضيات، والعلوم القانونية...

٣. **العلوم الكونية والتجريبية:** تهتم بدراسة الطبيعة والسنن. ونتيجة لاعتبار القرآن الكون كتاباً مفتوحاً، ودعوة الإنسان إلى قراءة ظواهره، برع المسلمون منذ القديم في علوم متنوعة منها الفيزياء، والفلك، والطب، والهندسة، والكيمياء، والرياضيات وغيرها. وكان ذلك إما استكمالا لما سبق في الحضارات القديمة أو تأسيسا علميا جديدا.

٤. **العلوم الإنسانية والاجتماعية:** نتيجة لتعامل القرآن مع الإنسان ككائن مركّب، طور المسلمون علوم التاريخ، وعلم الاجتماع (ابن خلدون)، وعلم النفس (الغزالي)، والسياسة الشرعية، والاقتصاد... ومن أهدافها فهم الإنسان ومسارات حضارته.

٥. **العلوم اللغوية والبلاغية:** بما أن القرآن عربي، فقد نشأت علوم النحو، والصرف، والبلاغة، والمعاجم، وغيرها... وهذه العلوم لم تكن ترفًا، بل ضرورة لفهم النص.

إن العلم الذي دعا إليه الإسلام، يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول به غشاوة الجهل والشك، سواء كانت علوما شرعية أو تجريبية؛ وكل العلوم أجزاء لحقيقة واحدة، لأن العلم أيا كان حقله فإن مصدره واحد هو علم الله تعالى، وهو علم واحد واسع وشامل لا يقبل تجزئة التناقض، وكل العلوم التي يمتلكها الإنسان تسير باتجاه واحد يوصل إلى الله تعالى.

فلا قطيعة بين العلوم الشرعية التي تهدف إلى فهم الوحي وتنظيم علاقة الإنسان بربه ومجتمعه، وبين العلوم الكونية/التجريبية التي تهدف إلى فهم العالم واكتشاف سننه وتسخيره للإنسان. والعلاقة بين العلم التجريبي والإيمان هي علاقة توافق وانسجام، حيث يؤدي التفكر والتدبر في قوانين الطبيعة إلى الهداية والإيمان بالله تعالى، لأن هذه القوانين تجليات لعلم الله وقدرته في الكون.

قال عباس محمود العقاد: "العلم في الإسلام يتناول كل موجود، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يعلم، فهم علم أعم من العلم الذي يراد لأداء الفرائض والشعائر؛ لأنه عبادة أعم من عبادة الصلاة والصيام؛ إذ كان خير عبادة لله أن يهتدي الإنسان إلى سر الله في خلقه، وأن يعرف حقائق الوجود في نفسه ومن حوله... ولهذا قال النبي –عليه السلام–: « وإنَّ فَضْل الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إنَّ الْعُلَمَاءَ هم وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»[٢٠،٢١]

التوحيد يقرر وحدةَ مصدريَة العلمَ، فبما أن الله هو خَالق الكون ومنزل الوحي، فإن الوحي: هداية أخلاقية وروحية وتشريعية، والكون: كتاب مفتوح للبحث والتجريب. وبالتالي فلا تعارض.

وفي الجدول التالي توضيح لحقيقة استيعاب مفهوم العلم في الإسلام للعلم التجريبي والطبيعي أيضا، نتيجة الترابط بين قوانين الطبيعة التي هي من قوانين الله، وقوانين الإيمان التي هي من قوانين الله، ما يعني الترابط بين العلوم الطبيعية والعلوم الشرعية لأنها كلها من تعليم الله عز وجل، وهذا الاتساق هو دليل آخر على وحدانيته سبحانه.

الترابط بين:	
قوانين الطبيعة (من قوانين الله)	وقوانين الإيمان (من قوانين الله)
وبين العلوم الطبيعية (من تعليم الله)	والعلوم الشرعية (من تعليم الله)
استيعاب مفهوم العلم في الإسلام للعلم التجريبي والطبيعي أيضا	

وفيما يلي أمثلة لأنواع متعددة من العلوم أشارت إليها آيات من القرآن الكريم، وتكشف أن الإسلام يدعو إلى اكتشاف الطبيعة، والبحث، والتجريب، والتأمل، وصولاً إلى الهداية والإيمان بالله تعالى.

إشارات قرآنية لعلوم متنوعة		
	الآيــة	**نوع العلم**
١	" فَلَوْلَا نفر من كُلِّ فرقة منْهُمْ طَائِفَةٌ ليتفقَّهوا فِي الدِّينِ" (التوبة ١٢٢)	العلوم الشرعية
٢	"أَولَمْ يسيروا فِي الْأَرْضِ فينظُروا كَيفَ كَانَ عاقِبَةُ الَّذين من قَبلِهِمْ" (الروم٩)	العلوم الاجتماعية وعلم التاريخ
٣	"سنريهم آياتنا فِي الْآفَاق وفِي أَنْفسهم حتَّى يتبيَّن لَهم أَنَّه الْحَقُّ" (فصلَت٥٣)	العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية
٤	"والْأَرْضِ مددناها وأَلْقَينا فيها رواسي وأَنْبتنا فيها من كُلِّ شيءٍ موزون"(الحجر١٩)	علوم الأرض
٥	"خلَق السَّماوات والْأَرْض بِالْحَقِّ يكَوِّر اللَّيلِ علَى النَّهارِ ويكَوِّر النَّهار علَى اللَّيلِ وسخَّر الشَّمس والْقَمر كُلٌّ يجْرِي لأَجلٍ مُسمًّى أَلَا هو الْعزيز الْغَفَّار" (الزمر٥)	علوم الفضاء والفلك
٦	"ثُمَّ خلقنا النُّطْفَة علقَة فخلقنا الْعلقَة مضغَة فخلَقنا الْمضغَة	

	عظَاما فَكَسونا الْعظَام لَحما ثُمَّ أَنشأْناه خلْقا آخر فَتبارك اللَّه أَحسن الْخَالقين" (المؤمنون١٤)	علوم الحياة
٧	هو الَّذي جعلِ الشَّمس ضياء والْقمر نورا وقدَّره منازل لتعلَموا عدد السنين والْحساب ما خلق اللَّه ذلك إلَّا بالْحَق يفصل الْآيات لقَوم يعلَمون" (يونس٥)	علوم الفلك والحساب

لقد كرم التوحيد أهل العلم ووصفهم القرآن بأنهم:

- يرفعهم الله درجات: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١].
- يشهدون على التوحيد: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].
- يخافون الله حق الخشية: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

كما أعطى التوحيد للعلم قيمة عليا، قيمة أخلاقية وروحية، وليس مجرد تراكم معلومات، واعتبر العلم عبادة لأن:

- طلب العلم فريضة: قال رسول الله ﷺ: "طَلَب الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[٢٢]
- العلم ميراث الأنبياء: قال ﷺ: "إِنَّ الْعُلَمَاء هُمْ وَرَثَة الْأَنْبِيَاء، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ به، أَخَذَ بِحَظٍّ وافِرٍ"[٢٣]
- الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم: قَالَ ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فيه عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ به طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَالْمَلَائِكَةُ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ"[٢٤]

إضافة إلى اعتبار العلم عبادة تجعل المسلم يمارس المعرفة بروح رسالية، اعتبر أيضا أساس الإصلاح الديني والاجتماعي الذي يقوم على الوعي العلمي، وفهم النص، ومعرفة الواقع، وإدراك قوانين التغيير. كما أن العلم سبيل التحرر لأن الجهل عبودية، والمعرفة حرية، والعلم يقود إلى القوة، والأمة الجاهلة ضعيفة مهما كثرت. ولذلك كان أول الوحي اقرأ.

لقد بنى التوحيد منهجا معرفيا إسلاميا يرتكز على مبادئ أساسية من أهمها:

* الحس النقدي: حيث يقدّم القرآن منهجا يقوم على طرح الأسئلة، ومناقشة المسلّمات، ونقد التقليد الأعمى، ورفض الاتباع بلا دليل ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]. وعبارة "البرهان" في هذه الآية وحدها تختصر روح المنهج العلمي.

* الاعتماد على الملاحظة والتفكّر والتجربة: تتكرر في القرآن آيات تدعو إلى النظر في الظواهر الطبيعية، وسلوك الكائنات، ونشأة الكون، وقوانين الطبيعة. ويعتبر العلماء المسلمون هذا تأسيسا مبكرا لفكرة الملاحظة التجريبية.

* الجمع بين الوحي والعقل: آية جامعة بوضوح بين الوحي والعقل هي قول الله تعالى:
﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص:٢٩). ما يدل على الوحي: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، وما يدل على العقل: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ و ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، أي أصحاب العقول الخالصة من الشوائب.

* قراءة التاريخ: من أوضح الآيات الدالة على قراءة التاريخ والاعتبار به قول الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

- ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: إشارة إلى قوانين تاريخية متكررة.
- ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾: دعوة صريحة إلى دراسة آثار الأمم السابقة.
- ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: استخلاص العبر من مصائرهم.

* الربط بين العلم والأخلاق: العلم في الإسلام ليس منفصلا عن مقاصد أخلاقية، بل مسير بها. فالعلم إذا لم يوجَّه أخلاقيا يتحول إلى أداة فساد وإفساد، والأخلاق من دون علم تتحول إلى عاطفة بلا بصيرة. ومن هنا برز مفهوم "العالم الرباني". وغايات العلم ليست تعرف قوانين الطبيعة فحسب، أو الاقتصار على تحقيق الربح المادي، بل تعميق الإيمان في النفوس ونفع الإنسانية وإسعادها ماديا ومعنويا في الدنيا والآخرة.

وقد أسهمت هذه المبادئ في بناء منهج علمي متكامل، أنتج علوما عديدة ودفع الحضارة الإسلامية نحو الابتكار والاكتشاف، وقدّم أفضل المعايير التي تحدد للإنسان ما يجوز فعله بالمعلومات والقوانين العلمية والتقنيات الجديدة. ويمثل التوحيد في علاقته بالعلم قوة دافعة للإنسان نحو حب الخير والحق والجمال، وحصنا لإنقاذ العالم المتناحر والمهدد بالدمار بين لحظة وأخرى إذا ما أساء استخدام الإنجازات العلمية والتقنية بمعزل عن القيم الإيمانية الهادية.

فيجب أن يمضي العلم محروسا بالإيمان حتى لا يضلَّ العلماء ويُضلُّون، وحتى لا يجنح العلم إلى الشطط والإفساد في الأرض.

ومن مراتب العلم في الإسلام:

١. التفكر والتدبر والعلم: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ **يَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٧].
٢. اكتشاف قوانين الوجود: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ **يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٨].
٣. الهداية والإيمان بالله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ **يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٩].

ويمكن استكشاف تدرّج هذه المراتب في الآيات الموالية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٩٥ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٩٦ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ **يَعْلَمُونَ** ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ **يَفْقَهُونَ** ٩٨ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ **يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٩].

وقد يطرح هاهنا تساؤل: لماذا كثير من العلماء في الغرب اليوم، وصلوا إلى قمة العلوم ولم يصلوا إلى الهداية والإيمان؟

وللإجابة أقول:

- أولا: العلوم في الغرب اليوم ليست شاملة لكافة جوانب الوجود، ومن ذلك الأمور الغيبية والروحية والأخلاقية والشرعية. وهذا حقق حضارة عرجاء تمشي على رجل واحدة، وعوراء ترى بعين واحدة.
- ثانيا: كثير من الدوافع وراء العلوم في الحضارة الغربية اليوم ليست إنسانية وأخلاقية، بل هي مادية تنافسية ربحية توسعية، لا تترك للعلماء مجالا للتفكر في الخالق والآخرة والأخلاق.
- ثالثا: ضغوطات جمة وغشاوات كثيرة على أبصار علماء الغرب، سياسية وإيديولوجية تعمل على استعباد الأفراد والشعوب للهيمنة والعولمة الاستكبارية.
- رابعا: يوجد كثير من العلماء الأحرار الذين ارتقوا إلى مراتب الهداية والإسلام، وأعلنوا ذلك وكتبوا، وكثير منهم لا يجدون تشجيعا واهتماما من الإعلام الموجه.
- خامسا: كثير من العلماء الذين ساهموا في بناء حضارة الغرب هم من المسلمين، لكننا لا نعرف أكثرهم، ليس بسبب التعتيم الإعلامي عندهم فقط، بل أيضا لأنهم ملاحقون في بلدانهم الأصلية الإسلامية، ولا قيمة لهم بسبب سيطرة الجهل والتفاهة والاستبداد.

وفي الأخير؛ لا بد من التنبيه إلى أن اتساع مفهوم العلم في الإسلام لا يعني كمال العقل الإنساني ولا محدوديته، فقد قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فلا بد من التواضع العلمي، وتنسيب الاجتهادات البشرية، وتحكيم الوحي لأن فيه العلم الإلهي الكامل والشامل والمحيط. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وهكذا فإن مفهوم العلم في الإسلام واسع ومتكامل، يجمع بين النص والوحي، والعقل والمنهج، والتجربة والملاحظة، والأخلاق والعمران، ويرسخ رؤية تجعل العلم أساس التكريم الإلهي، ومحورا للنهوض الحضاري، وشرطًا للتقدم الإنساني.

والتوحيد يقدّم منظومة معرفية شاملة تجعل العلم مع الإيمان محورا للوجود الإنساني، وتوسع دائرته بحيث تشمل كل ما يقود الإنسان إلى فهم نفسه، وربه، والكون من حوله. ولا يقف العلم في الرؤية الإسلامية عند حدود المعرفة الدينية النصية، بل يمتد إلى ميادين الكون والطبيعة والمجتمع، في علاقة تكاملية تجعل البحث العلمي عبادة، والتفكير فريضة، والاكتشاف سبيلاً لتعميق الإيمان وترسيخ الوعي.

ومن خلال هذا الفهم الشامل، يمكن للأمة اليوم أن تستعيد دورها العلمي، إذا أعادت وصل حاضرها بروح "اقرأ" ومنهج التوحيد.

الخاتمة

يبرز هذا البحث أن التوحيد ليس مجرد فكرة دينية بالمفهوم السطحي، بل هو منظومة معرفية متكاملة تُحرر العقل وتحثه على النظر في الكون، وتفتح أمامه آفاق البحث العلمي. وإنَّ الجمع بين الإيمان والنظر العقلي يشكّل أحد مميزات الحضارة الإسلامية التي جعلت من العلم طريقاً إلى معرفة الخالق، ومن التفكير فريضة شرعية.

ومن أبرز ما خلُص إليه هذا البحث:

١. التوحيد منهج معرفي يقوم على النظر العقلي، واكتشاف السنن الكونية، وبناء رؤية معرفية تجعل العلم طريقاً للإيمان.
٢. الدعوة المتكررة إلى "النظر" و"التعقل" في القرآن هي دعوة مباشرة لاتباع منهج البحث الاستقصائي المنظم في الآفاق والأنفس، مما يؤكد أن الإيمان بالوحدانية يرتكز على دليل عقلي وكوني ثابت.
٣. التوحيد ليس مجرد قضية إيمانية مجردة، بل هو محرك حضاري أسهم في بناء العقل المسلم وتوجيهه نحو التفكّر والنظر والبحث.
٤. التوحيد هو القوة الدافعة لتحرير العقل من التقليد والخرافة، من خلال تأسيسه لمبدأ اليقين باعتماد البرهان والحجة، ورفض الخضوع إلى الظن والتخمين.
٥. التوحيد منهج معرفي متكامل يضع العقل في موقع التحرر والمسؤولية.
٦. النظر العقلي في الكون أحد الأصول المنهجية التي بني عليها الإيمان.
٧. العلم والتوحيد ليسا مجالين متعارضين، بل هما مترابطان، لأن مصدرهما واحد.
٨. الأمر الإلهي بالقراءة تأسيس حضاريٌّ لمرحلة معرفية جديدة في تاريخ الإنسان.
٩. الرؤية القرآنية للسنن الكونية تمثل إطاراً معرفياً يسبق المناهج العلمية الحديثة.

١٠. التوحيد أسس لمنهجية علمية شاملة تجمع بين العلوم الشرعية والكونية.

١١. العلم بجميع مجالاته – الشرعية والإنسانية والطبيعية والكونية – يمثّل حلقات متكاملة تقود في النهاية إلى إدراك وحدانية الخالق وعظمة النظام الإلهي.

١٢. الوحي والعقل ليسا نقيضين، بل يشكّلان أساسا لمنهج معرفي متكامل يتسم بالموضوعية، وينفتح على التجربة والملاحظة، ويستفيد من التاريخ، ويرتكز على القيم الأخلاقية التي تضبط حركة المعرفة وتوجهها نحو الإعمار والصلاح.

١٣. رمزية "اقرأ" ورسالة القلم أسست لمشروع حضاري يقوم على العلم الشامل موحد المصدر، حيث تتكامل العلوم الشرعية والتجريبية.

١٤. الأمر الإلهي بالقراءة مثّل بداية تأسيس لمنهج معرفي عالمي جعل العلم فعلاً إنسانياً متصلاً بالإيمان، وربط بين الظاهرة الكونية والحقيقة الإلهية، لتحقيق الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة.

١٥. المعرفة ليست فعلاً ثانويا في حياة الإنسان، بل هي ضرورة وجودية.

١٦. القرآن الكريم لم يقدّم عقيدة التوحيد بمعزل عن أدواتها، بل جعل النظر العقلي والقراءة والتفكّر في آيات الكون مداخل أساسية لترسيخ الإيمان.

١٧. التوحيد هو الإطار النظري الذي يضمن الاتساق بين النص والواقع، ويشجع على اكتشاف السنن الكونية كعبادة.

١٨. مشروع التوحيد، كما يقدّمه القرآن، ليس مشروعا تعبديا فقط، بل مشروع نهضة شامل يؤسس لرؤية كونية تحفّز الإنسان على البحث والاكتشاف والسعي في آفاق المعرفة.

١٩. هذه الرؤية المتوازنة هي التي مكّنت الحضارة الإسلامية من بناء نهضة علمية كبرى امتدت لقرون، وجعلت العقل المسلم رائدا في ميادين الفلك والطب والهندسة والفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وبناء على ما سبق، تقدّم الدراسة جملة من التوصيات العملية التي يرجى أن تساهم في الإصلاح الحضاري الشامل المطلوب، أهمها:

- إجراء المزيد من دراسات المقارنة بين منهجية التفكير التي أرسى دعائمها التوحيد وبين المناهج الفلسفية الأخرى التي عالجت علاقة العقل بالوحي.
- استحضار هذه الأسس التوحيدية للتفكير والمعرفة اليوم لإعادة بناء الوعي الحضاري للأمة، وإحياء دور العلم في إصلاح الواقع، وتحرير العقل من الجمود والتقليد، وتوجيهه نحو الإبداع والابتكار.

- إعادة تفعيل هذا المنهج القرآني في التفكير والمعرفة مدخلاً أساسيا لتجديد العقل المسلم، وبناء نهضة حضارية معاصرة تستعيد دور العلم والإيمان في بناء الإنسان والمجتمع.

وهكذا فإن التوحيد من المنظور الإسلامي يمثل إطارا شاملاً يربط بين العقيدة والعقل والوجود، ويمنح الإنسان رؤية توحيدية متكاملة تعيد صياغة علاقته بالكون والحياة والمعرفة، وتؤسس لعلاقة متوازنة بين الإيمان والعقل، وبين الوحي والكون.

وبذلك، يمكن القول إن التوحيد – في شموله – هو الأصل الذي تنبثق منه كل مقومات الوعي العلمي والحضاري في الإسلام، ويمثل الإطار الفكري الذي يحرر العقل ويوجهه نحو المعرفة الصحيحة، وهو المفتاح الذي يعيد للعقل دوره، وللعلم مكانته، وللإنسان رسالته في فهم الكون وعمارة الأرض وفق هدي الله وسننه.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licence.

الهوامش:

١. عبد الرزاق عفيفي (ت ١٤١٥هـ)، مذكرة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.: ص٣.

ʿAbd al-Razzāq ʿAfīfī (d. 1415 AH), Mudhakkirat al-Tawḥīd, Wizārat al-Shuʾūn al-Islāmiyyah wa al-Awqāf wa al-Daʿwah wa al-Irshād – al-Mamlakah al-ʿArabiyyah al-Saʿūdiyyah, al-Ṭabʿah al-Ūlā, 1420 AH, p. 3.

٢. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام مُحَمَّد هارون [ت ١٤٠٨ هـ]، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، (١٣٨٩ - ١٣٩٢ هـ) (١٩٦٩ - ١٩٧٢ م)، ٥/٤٤٤.

Abū al-Ḥusayn Aḥmad ibn Fāris ibn Zakariyyā (d. 395 AH), Muʿjam Maqāyīs al-Lughah, taḥqīq wa ḍabṭ: ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn (d. 1408 AH), Sharikat Maktabat wa Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa Awlādih bi-Miṣr, 2nd ed., (1389–1392 AH / 1969–1972 CE), 5/444\

٣. مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤ هـ.: (٥/ ٢١٥-٢١٧).

Muḥammad ibn Mukarram ibn ʿAlī, Abū al-Faḍl, Jamāl al-Dīn Ibn Manẓūr al-Anṣārī al-Ruwayfiʿī al-Ifrīqī (d. 711 AH), Lisān al-ʿArab, al-Ḥawāshī: li-l-Yāzijī wa Jamāʿah min al-Lughawiyyīn, Dār Ṣādir, Bayrūt, 3rd ed., 1414 AH, 5/215–217

٤. مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، «القاموس المحيط» تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.: ص٤٨٤.

Majd al-Dīn Abū Ṭāhir Muḥammad ibn Yaʿqūb al-Fayrūzābādī (d. 817 AH), al-Qāmūs al-Muḥīṭ, taḥqīq: Maktab Taḥqīq al-Turāth fī Muʾassasat al-Risālah, bi-Ishrāf Muḥammad Nuʿaym al-ʿIrqusūsī, Muʾassasat al-Risālah lil-Ṭibāʿah wa al-Nashr wa al-Tawzīʿ, Bayrūt, Lubnān, 8th ed., 1426 AH / 2005 CE, p. 484

٥. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، «الفروق اللغوية»، حققه وعلق عليه: مُحَمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر: ص٧٤.

Abū Hilāl al-Ḥasan ibn ʿAbd Allāh ibn Sahl ibn Saʿīd ibn Yaḥyā ibn Mihrān al-ʿAskarī (d. ca. 395 AH), al-Furūq al-Lughawiyyah, taḥqīq wa taʿlīq: Muḥammad Ibrāhīm Salīm, Dār al-ʿIlm wa al-Thaqāfah lil-Nashr wa al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, Miṣr, p. 74

٦. الفروق اللغوية، ص٧٥.

al-Furūq al-Lughawiyyah, p. 75

٧. الفروق اللغوية، ص٧٥.

al-Furūq al-Lughawiyyah, p. 75

٨. الفروق اللغوية، ص٧٥.

al-Furūq al-Lughawiyyah, p. 75

٩. الفروق اللغوية، ص٧٦.

al-Furūq al-Lughawiyyah, p. 76

١٠. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، «الكليات» الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش – مُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت: ص٦١٨.

Ayyūb ibn Mūsā al-Ḥusaynī al-Quraymī al-Kafawī, Abū al-Baqāʾ al-Ḥanafī (d. 1094 AH), al-Kulliyyāt: Muʿjam fī al-Muṣṭalaḥāt wa al-Furūq al-Lughawiyyah, taḥqīq: ʿAdnān Darwīsh wa Muḥammad al-Miṣrī, Muʾassasat al-Risālah, Bayrūt, p. 618

١١. البخاري ٩٩٦، ومسلم ٢٩ – (٩١٥).

al-Bukhārī, 996; Muslim, 29 (915)

١٢. رواه أحمد ٩٥٣٦، وأبو داود ٣٨١.

Rawāhu Aḥmad, 9536; wa Abū Dāwūd, 381

١٣. رواه البخاري ٥٤٢٢، ومسلم ٢٢٢٣.

Rawāhu al-Bukhārī, 5422; wa Muslim, 2223

١٤. عبد المجيد بن عزيز الزنداني، توحيد الخالق، جامع الكتب الإسلامية.: ١/٢١.

ʿAbd al-Majīd ibn ʿAzīz al-Zindānī, Tawḥīd al-Khāliq, Jāmiʿ al-Kutub al-Islāmiyyah, 1/21

١٥. ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ). "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان. الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.: ص ١٨٩.

Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Saʿd Shams al-Dīn Ibn Qayyim al-Jawziyyah (d. 751 AH), *Shifāʾ al-ʿAlīl fī Masāʾil al-Qaḍāʾ wa al-*

Qadar wa al-Ḥikmah wa al-Taʿlīl, Dār al-Maʿrifah, Bayrūt, Lubnān, 1398 AH / 1978 CE, p. 189

١٦. سنن الترمذي، كتاب أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب، رقم ٢١٥٥.

Sunan al-Tirmidhī, Kitāb Abwāb al-Qadar ʿan Rasūl Allāh ﷺ, Bāb, no. 2155

١٧. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، «العين»، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.: ٢/ ١٥٢.

Abū ʿAbd al-Raḥmān al-Khalīl ibn Aḥmad ibn ʿAmr ibn Tamīm al-Farāhīdī al-Baṣrī (d. 170 AH), al-ʿAyn, taḥqīq: Dr. Mahdī al-Makhzūmī wa Dr. Ibrāhīm al-Sāmarrāʾī, Dār wa Maktabat al-Hilāl, 2/152

١٨. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن مُحَمَّد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، «الورقات»، المحقق: د. عبد اللطيف مُحَمَّد العبد.: ص٩.

ʿAbd al-Malik ibn ʿAbd Allāh ibn Yūsuf ibn Muḥammad al-Juwaynī, Abū al-Maʿālī, Rukn al-Dīn, al-Mulaqqab bi-Imām al-Ḥaramayn (d. 478 AH), al-Waraqāt, taḥqīq: Dr. ʿAbd al-Laṭīf Muḥammad al-ʿAbd, p. 9

١٩. أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، «المفردات في غريب القرآن»، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.: (ص٥٨٠)

Abū al-Qāsim al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-Maʿrūf bi-al-Rāghib al-Aṣfahānī (d. 502 AH), al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān, taḥqīq: Ṣafwān ʿAdnān al-Dāwūdī, Dār al-Qalam wa al-Dār al-Shāmiyyah, Dimashq–Bayrūt, 1st ed., 1412 AH, p. 580\

٢٠. رواه ابن ماجة ٢٢٣، وأبو داود ٣٦٤١.

Rawāhu Ibn Mājah, 223; wa Abū Dāwūd, 3641

٢١. عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، مؤسسة هنداوي، ط٢٠١٤م.: ص٥١.

ʿAbbās Maḥmūd al-ʿAqqād, al-Tafkīr Farīḍah Islāmiyyah, Muʾassasat Hindāwī, 2014 ed., p. 51

٢٢. رواه ابن ماجة ٢٢٤.

Rawāhu Ibn Mājah, 224

٢٣. رواه أحمد ٢١٧١٥، وابن ماجه ٢٢٣، وأبو داود ٣٦٤١، والترمذي ٢٦٨٢.

Rawāhu Aḥmad, 21715; wa Ibn Mājah, 223; wa Abū Dāwūd, 3641; wa al-Tirmidhī, 2682

٢٤. صحيح ابن حبان ٨٣٠.

Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān, 830